الفصل الرابع
العولمة والصدام بين الشعوب

1 ـ العالمية والعولمة .
2 ـ العولمة وتخفيض عدد سكان الدول الفقيرة .
3 ـ سيادة الثقافة الواحدة .
4 ـ الصهيونية والعولمة .
5 ـ نموذج عولمي تربوي أمريكي .
6 ـ العولمة إنجاز الحكومة الماسونية العالمية .
7 ـ طوائف خلاصية تحكم بنهاية العالم بسبب العولمة .
8 ـ مؤتمر الألفية العالمي ، هل يتخلى العقل العنصري عن فوقيته؟
9 ـ لماذا تحارب الشعوب ضد العولمة ؟
10 ـ أمريكا بعد 11 أيلول تغيّرٌ أم تطور؟

أولاً: بين العالمية والعولمة:

ما يشغل العالم اليوم، الجدال الناشئ حول مفهوم العولمة ونتائجها على المستوى الاقتصادي والتجاري والعلاقات الدولية ذات التوجه الاقتصادي الصرف.

لكن الذي يشغلنا أسئلة عديدة تبحث عن العولمة كطرح فكري رأسمالي، وتبحث عن مخاطرها وآثارها السلبية على الهوية والحضارة والتراث والعقيدة.

كثيرون لا تعجبهم الهواجس والمخاوف التي نتحدث عنها جراء سيطرة العولمة وآثارها، وكثيرون آخرون يتهموننا بالمبالغة والتوهم، وعدم فهم العولمة فهماً موضوعياً علمياً.

ونعتقد بداية أن فهم العولمة وفهم آثارها لم يعد محصوراً بفئة جماهيرية دون أخرى.

صحيح أن الأفكار تختلف، وأن التركيب العقلي والنفسي لكل فرد يتميز عن الفرد الآخر، ولكن الجميع يدركون اليوم معنى العولمة، ولكنهم أيضاً يتنافرون جراء الفهم المختلف، لآثار هذه العولمة خاصة على عالمنا العربي والإسلامي الذي يطلقون عليه العالم المتخلف.

بعضنا يرى أنه علينا الدخول في العولمة شأننا شأن بقية الأمم والشعوب التي دخلتها، وبعضنا الآخر يرى أن لا خطر علينا من دخول العولمة والاندماج فيها، وثالثنا يرى أن العولمة قدر الإنسانية شئنا أم أبينا، فنحن مساقون إليها رغماً عن أنوفنا إن صح التعبير، ماذا تغير فينا منذ أن طرح مفهوم العولمة من الجانب الغربي؟ ما الذي تغيّر في عالمنا العربي والإسلامي منذ أن بدأ اكتساح العولمة يأكل الأخضر واليابس؟

قد يقول بعضنا: لم يتغير شيء، ما دمنا في حيرة وجدال، وما إذا كنا نتقبل العولمة أو نرفضها، لكن الواقع يقول لنا: إن الذي تغير هو مزيد من التمزق على المستوى النفسي والعقلي والعقيدي، ومزيد من الضعف والتخبط على المستوى الاقتصادي، ومزيد من القطرية والتقوقع على المستوى الجغرافي والسياسي.

على أية حال فإننا لسنا محرومين من إبداء رأينا وقناعاتنا وأفكارنا ما دمنا نواجه هذا الواقع، وما دمنا نحتار في تقبل العولمة أو رفضها.

فنحن نرى أن بين جوانحنا وعقائدنا مفهوماً آخر بديلاً عن مفهوم العولمة وهو مفهوم العالمية، وما دمنا نحن أصحاب هوية عربية إسلامية ما زلنا ندافع عنها، فلا بد من النظر بدقة إلى مفهوم العولمة وفوارقه عن مفهوم العالمية.

إن تراثنا العربي الإسلامي وعبر أكثر من أربعة عشر قرناً ظل حاملاً في جوهره مئات المفاهيم الإنسانية التي لا تموت لأنها أشبه بالثوابت القيمية التي لا يغيرها بشر، ولعل مفهوم العالمية كان ولا يزال أهم تلك المفاهيم وأوسعها أفقاً، وحتى لا يستغرقنا الجدل فإننا نرى أن هناك فروقاً شاسعة بين العولمة والعالمية، وهذه الفروق تقع في الأسس أولاً، ثم في العلاقات الإنسانية ثانياً.

فالعالم الغربي اليوم يتحدث عن صيغ عولمية تضع الشعوب والأمم في مواجهة التحولات السريعة إن كان ذلك على المستوى الاجتماعي أو التقني، لكن هذه الصيغ تحذف من قانونها كثيراً من النواميس، وكثيراً من حبال الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، وكذلك تحذف من قاموسها مفهوم الهويات والشخصيات المتنوعة في الأرض.

لقد طُرحت العولمة من قبل الرأسمالية العالمية لتحل محل جميع أشكال الخصوصية والتنوع والتمايز، ولتحذف حدود الجغرافيات الوطنية والقومية والعقيدية حتى تصل إلى غاية أقل نتائجها ذوبان الإنسانية في إطار لا تاريخ فيه، ولا تراث ولا عقائد ولا مستقبل سوى زيادة الغنى لأصحاب رؤوس الأموال، وزيادة الفقر لغيرهم من البشر، وحين ندافع عن مفهوم العالمية نقتنع أنه إطار ينفتح على الشعوب دون أن تلغى الهويات والشخصيات، وطبيعة التواجد البشرى على الأرض طبيعية تقر بالتنوع وتعترف للجميع بحق الحياة وتحقيق الحقوق الإنسانية بكافة مستوياتها الفردية والاجتماعية.

إن طبيعة مفهوم العالمية تعني العلاقات البشرية المعترفة بوجود أمم وشعوب لها هوياتها ولغاتها وتراثها وتطلعاتها، وهذا الوجود خلق ليصنع ما يسمى تلاقح الثقافات والعلوم والحضارات، وتجاذب المفاهيم والأفكار الساعية لخير البشرية، وفي النتيجة فإن البشرية لا بد أن تتجه نحو التطور الفكري والمادي الذي يسعى لحل

أزمات العالم، وابتداع كل الوسائل التي تريح أبناء هذا الكوكب من عناء الفقر والظلم والاستلاب وعدم الكفاية المادية.

والعالمية لا بد لها من أسس وهذه الأسس رسخها التراث العربي الإسلامي لأنها استُحدثت من قيم ثابتة للتعامل البشري، وهي تقوم على احترام الإنسان للإنسان، احترام لونه وعقله ولغته وعواطفه ومشاعره ومعتقداته، وتقوم أيضاً على حوار بناء يصنع تفاعلاً إيجابياً بين الناس.

ومفهوم العالمية يحركه الإيمان المطلق بأن لا تمايز بين أبناء البشرية بسبب باللون أو العرق أو النسب أو الجاه أو المال، فالجميع يؤمنون بأن الإنسان بمفهومه الفيزيولوجي واحد، وتتوسع أسس العالمية لتشمل إقامة العدل ورفض الظلم والتعدّي، وكذلك عدم التسفيه والتصغير من شأن الآخرين أفراداً وأمماً وشعوباً، وهذه الأسس تدعو إلى الحركة الدائمة للإنسانية في كافة الاتجاهات من أجل بناء ثقافة وحضارة إنسانية توزع ألوان الطيف الحضاري على كل إنتاج إنساني مشترك، وهذا النتاج يقر بأن ألوان الطيف لا يمكن أن تتشكل خارج نطاق اللون الأبيض إذ هو الأصل الذي يمنح الطيف ألوانه جميعها.

إن مفهوم العالمية لا يلغي الآخر ولا يظلمه ولا يقهره، فالمفهوم ملك للجميع يدافعون عنه لأنه إنساني النزعة شمولي المساحة، يرفض كل أشكال الاستغلال والاستعباد، وعندما نسبر ما وراء العولمة التي يطرحها العالم الرأسمالي فإن أول ما يستوقفنا هو أن الذين يطرحونه ينظرون إلى التفاعل البشري على أنه تفاعل بين طرف ذكي قويّ وطرف غبي ضعيف، طرف يمتلك وطرف يجب أن يكون فاقداً للتملك.

وإذا نظرنا إلى آلية تحقيق هذه العولمة يبرز لنا على الفور مفهوم إلغاء الآخر، وقد يكون هذا الإلغاء إلغاء حقيقياً من الوجود من خلال تفريغ الأرض من سكانها من خلال نشر الإيدز والأوبئة الفتاكة كما يجري الآن في أفريقيا وجنوب آسيا، وقد يكون الإلغاء تهميشاً كاملاً للدور البشري في استقلال الاقتصاد والتجارة والتوسع التقني والعمراني كما يجري الآن في أقطار النفط.

إن الآلية الغربية الرأسمالية للعولمة تعني الفرز الحقيقي بين نمطين من البشر أو بين عنصرين من الإنسان، عنصر مبدع منتج، وعنصر خامل مستهلك، عنصر يصنع كل ساعة تطوراً ملموساً في التكنولوجيا، ويؤسس لربح فاحش سريع، وعنصر يراد له أن يكون بعيداً عن التطور والإبداع والاكتفاء المادي الذاتي.

وفي ظل هذه العولمة أو لنقل تحت نير هذه العولمة يصبح الظلم حالة جماعية لا تتناول فرداً أو حالة فردية، إنما تتناول شعوباً برمتها، ويصبح التعدي سمة عولمة العالم الرأسمالي وليس التعدي ذا الوجه الواحد، إنما التعدي المتعدد السبل والأساليب، فهو تعدّ على خيرات الشعوب ومستودعات أراضيها من بترول وذهب وماس، وهو تعد على الهويات الوطنية والطموحات القومية والإنسانية.

فكيف يمكن أن ينظر بعضنا إلى العولمة على أنها بناء للحضارة الإنسانية المتمثلة بالتطور العلمي وراحة الإنسان، فهي لن تتجه إلى بناء الحضارة الإنسانية الشمولية، إنما تتجه لتحقيق سعادة دول الشمال الصناعي، سعادة أبناء الغرب المتقدم، ولعل أقرب مثال على ذلك نسبة الدخل القومي ودخل الأفراد في تلك الدول فهي لا تقارن مطلقاً بما لدى الشعوب في الجنوب الفقير من دخل قومي، أو دخل الأفراد، وهي في ازدياد غير متوقف، فهذه العولمة تبني أرضاً وتدمر أخرى، تسعد إنساناً وتتعس آخر، ولعل الأخطر من ذلك كله فصل الأرض إلى شقين مختلفين في الأهداف والغايات، فلا حوار بينهما لأن الطرف الأضعف مُلغَى بنظر الطرف الأقوى، فكيف يتم الحوار بين موجود ومُلغى؟ كيف يتم احترام الإنسان للإنسان والطرف الأقوى لا يرى في الطرف الأضعف إلا رقما زائداً فائضاً عن الاستيعاب؟

وحتى لا نكون مرهونين للإطار النظري فإننا نعتقد أن هناك صراعاً فكرياً ونفسياً، اجتماعياً ووجودياً بين العالمية التي يطرحها الفهم العربي الإسلامي، وبين العولمة التي يطرحها الفهم الغربي الرأسمالي الذي أنهى منذ زمنٍ كل أشكال الهوية سوى هوية النهب والسلب، وتراكم الرأسمالية والسيطرة المطلقة على مقدرات الشعوب.

ولئن بدا للعيان أن بعض الشعوب قد وقعت فعلاً في شرك العولمة وراحت تذوب شيئاً فشيئاً في ظلمتها، فإن مهمة الأمة العربية وكذلك الإسلامية ليست كمهمة الآخرين، لأن تراث هذه الأمة وُجد ليبقى ويتطور ويفتح للإنسانية آفاقاً واسعة من العلاقات الإنسانية الراقية المتقدمة.

وبعد هذا وذاك هل تقبل العولمة الرأسمالية أن يحافظ العربي على هويته وشخصيته؟ هل تقبل العولمة أن يتساوى الشرق والغرب أو الشمال والجنوب بالتعامل والعلاقات الإنسانية وكذلك الإنتاج والاستهلاك؟

هل يقبل العالم الغربي الرأسمالي عالميتنا التي تؤكد احترام الآخر، ولا تسعى لنفيه من الوجود؟

هل يقبل العالم الرأسمالي عالميتنا التي تنفي العدوان والاستلاب والاسترقاق والاحتلال؟

ربما، ولكن العولمة الرأسمالية الكاسحة لن تتوقف لأن من يقودها هو من ابتدعها، ونعتقد أنه الفكر اليهودي الصهيوني الذي لا يروق له سوى دمار الشعوب، وحرق هوياتها، ومن ثم إلغائها إن أمكن.

لقد طرحنا المفهومين في إطارين نظريين وربما ـ وهذا حق مشروع ـ أن يتساءل الكثيرون منا ما معنى مفهوم العالمية من وجهة نظر إسلامية مستندة على أساس قرآني؟.

ثانياً: العالمية في القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية:

لقد طرح القرآن الكريم مفهوم العالمية كأفق ينفتح على شعوب الأرض دون أن يلغي الهويات والشخصيات، وطبيعة التواجد البشري على هذه الأرض طبيعة تقر بالتنوع.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: 13].

فطبيعة العلاقة البشرية تقتضي وجود الأمم والشعوب والقبائل، لا وجود شعب واحد وأمة واحدة، وهذا الوجود خلق ليكون هناك تلاقح في الثقافة والعلم، وتجاذب

في المفاهيم والأفكار، والنتيجة فإن الإنسانية جمعاء تتجه نحو الإنتاج الفكري والمادي الذي فيه سعادة الجميع وليس سعادة طرف على حساب تعاسة طرف آخر.

كيف طرح القرآن مفهوم العالمية:

في آيات القرآن الكريم يبدأ مفهوم العالمية من خلال مفهوم رب العالمين، وقد ورد هذا المفهوم في أكثر من ستين موقعاً في القرآن الكريم، فالله سبحانه يعلّم البشرية جمعاء أن الله واحد وهو مدبر الكون والبشر، ومطلوب من البشرية أن تتجه له، فهو الكلي المطلق ليس إلهاً لأحد دون الآخر، فلا تمايز في العبودية ولا فرق بين الناس في طبيعة الخلق، ولا فرق بينهم في طبيعة توجههم نحو الإله الواحد.

فعندما يطرح اليهود مفهوم الإله الخاص بهم فإنهم ينفون فهم العالمية من عقولهم، وعندما تعرض القرآن الكريم لكيفية تحقيق العالمية وضع أسساً ثابتة للتعامل البشري وهذه الأسس تقوم على احترام الإنسان للإنسان، احترام عقله وعاطفته ومشاعره وتقوم على أساس الحوار البناء الذي يخلق تفاعلاً إيجابياً بين الخلق.

لقد أوضح القرآن الكريم أن البشرية كانت واحدة، لكن النزوع نحو الشر من قبل بعض البشر فرّق البشرية، فكان لزاماً أن يبعث الله النبيين ليردهم إلى وحدة الأمة وإلى الخالق الواحد والأهداف الإنسانية الواحدة.

يقول الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 213].

وعندما ننظر في الأسس التي أقرها ورسّخها القرآن الكريم لمفهوم العالمية نجد أن التحرك الإيماني يبدأ بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ ثم تتوسع الأسس فنرى المساواة بين البشر وإقامة العدل ورفض الحرام

والظلم والتعدي، ونرى احترام رأي الآخر وعدم التسفيه وتصغير الآخرين أو احتقارهم، ومن ثم يدعو القرآن الكريم إلى التحرك الإنساني في كافة اتجاهات الأرض، وذلك لبناء ثقافة إنسانية وحضارة إنسانية وتوزع ألوان الطيف الحضاري، لكنها تدرك أن تكليف الإنسان بعمارة الأرض هو تنفيذ لقوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.

وحين نقترب من مهمة الأنبياء والرسل نراها مهمة عالمية وليست مقتصرة على محيط ضيق، فالدعوة هي للتوحيد والسلوك والخير، ونرى أن النبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ جاء المثالَ الأوضح لإظهار الخطوط العامة لمفهوم العالمية.

يقول الله تعالى مخاطباً إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾.

وبقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[النحل: 120].

أما المفهوم المفصل لتلك العالمية فقد أوضحه القرآن الكريم مرتبطاً بالنبي محمد ـ ﷺ ـ إذ أنه بُعث للناس كافة، ثم بُعث رحمة لهم، وليس انتقاماً منهم، ولذلك كانت الدعوة الإسلامية عالمية التوجه منذ البدء، وعلى هذا الأساس كان انتشار الإسلام سريعاً بين الأمم والشعوب.

وحتى لا نكون مرهونين للإطار النظري والتنظير فإننا نعتبر أن هناك صراعاً فكرياً نفسياً اجتماعياً ووجودياً بين العالمية والعولمة، فمهمة الإسلام ليست كمهمة الآخرين من أصحاب دعاة العولمة، لأن الإسلام وُجد ليكون السبيل الحقيقي لتحقيق عالمية المثل والقيم، عالمية المساواة والعدالة والتطور، ونعتقد أن أهم العقبات وأثبتها في وجه تيار العولمة الرأسمالي هو الإسلام المستند إلى فهم واع لمهمة حملة القرآن الكريم، وفهم واع للدور الرسالي لهذا الدين الحنيف.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: 92].

إننا نرى أن بين العولمة والعالمية مسافة شاسعة تماماً كالمسافة بين الرؤية الربانية القرآنية والفلسفة الوضعية، وإذا عدنا إلى كافة ما طرحه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لوجدنا دستوراً عالمياً شمولياً يصلح للجميع ولسعادة الجميع.

ثالثاً: العولمة وتخفيض عدد سكان الدول الفقيرة:

حينما يطرح العالم الصناعي مفهوم العولمة والمفاهيم السكانية المعاصرة يرقب المرء أن الوجه الآخر للعولمة هو الفقر، وحين يدعي أصحاب العولمة أن عولمتهم تمنح الحرية فإن من الواضح أن هذه الحرية تمنح السقوط والفشل للمجتمعات الإنسانية...

فالعولمة بالمحصلة أخفقت وستخفق في تحقيق المساواة بين الشعوب، وفي القضاء على الفقر في أفريقيا وآسيا وحتى أوروبا وأمريكا.

هذا هو الوجه البارز للعولمة يخفي وراءه ما هو أخطر بكثير، فالدول الصناعية منذ أمد بعيد وهي تطرح على العالم الثالث الحد من النسل، وتتكرر الدعوات من قبل هذه الدول، وتُبرزها من خلال مؤتمرات كثيرة تعقد مرة في القاهرة، ومرة في الصين تحت شعار مؤتمر بكين للمرأة والتنمية السكانية، وثالثة تطرح في بلد ثالث تحت شعار الشمال والجنوب وما إلى ذلك.

وتختفي تصريحات هذه الدول بشأن الحد من الفقر والمرض والتخلف حينما تطرح موضوع تخفيض النسل، وكأن العلة أو علة العلل هي في هذا الأمر دون سواه، أما الأزمات الحقيقية وأهمها مديونية الدول الفقيرة فلا تحاول الدول الصناعية معالجتها، أو الحد من توسعها وانتشارها.

وحينما يدرس الواقع الاجتماعي والاقتصادي في الدول الفقيرة تبرز ثلاث معضلات أساسية تهدد تلك المجتمعات بالفناء.

ففي أفريقيا لا سيما الجنوب ينتشر مرض الإيدز بشكل مرعب، حيث تقول الإحصائيات: إن نسبة المصابين والحاملين لفيروس الإيدز تبلغ الآن 65٪، بمعنى أن بعض المجتمعات سوف تنمحي من الوجود خلال سنوات قليلة مقبلة، فمن أين جاءت هذه النسبة المخيفة؟ هل جاءت فقط نتيجة العلاقات غير الأخلاقية في المجتمع؟ أم أن العالم الصناعي لعب دوراً في تصدير فيروس الإيدز إلى تلك الدول للقضاء على سكانها؟ تقول بعض التقارير الصادرة عن الأطباء الأمريكيين: إن فيروس الإيدز منذ البداية صُنع ليصدر إلى دول أفريقية وآسيوية للقضاء على مجتمعاتها، وبمعنى من المعاني فإن هذه الشعوب بنظر بعض الدول الصناعية الكبرى فائض عن حاجة البشرية، ويجب إزالة هذا الفائض، ولا يتم ذلك من خلال الإبادة الجماعية العسكرية، أو إجراء مذابح مكشوفة تطال الملايين من البشر، أما الوسيلة الناجحة فهي تصدير مرض الإيدز، وجعله يفتك بأكبر قدر ممكن من الشعوب الفقيرة، وبذلك فإن بعضاً من نظرية مالتوس القائلة بالفائض البشري الذي يجب أن يزول، يصبح في محل التطبيق ولكن بأساليب بشرية وليس طبيعية كما تقرر تلك النظرية.

وحين يتساءل بعضنا عن الأسباب الكامنة وراء ذلك الإخفاء، فإن أموراً كثيرة تأتي لترد أو تجيب على التساؤل، فالعالم الغربي ما يزال ينظر إلى شعوب أفريقيا وجنوب آسيا نظرة عنصرية فوقية، ولم يتخلص منها وإن برزت محاولات فكرية فردية لمحوها.

ومن ناحية أخرى فإن أرض أفريقيا ما تزال قادرة على العطاء بخيراتها وحاجاتها، فإذا ما استطاعت هذه الشعوب أن تتحرر من عقلية الخوف فإنها قادرة على النهوض مرة بعد مرة، وهذا لا يروق للغرب الصناعي إذ أن دُولَهُ تسعى وما تزال حتى هذه اللحظة تسعى للاستفادة من حاجيات أرض الفقراء إلى أقصى درجة، حتى تبقى الدول الصناعية وصناعتها الأوروبية والأمريكية سيدة الاقتصاد والتجارة.

وحينما يطرح العالم الصناعي العولمة فإنه يدرك أنها لن تأتي بالخير على الشعوب الفقيرة، فلا مكان لتلك الشعوب في حساب الأغنياء والرأسمالية المرعبة في أمريكا وأوروبا واليابان.

ولعل التقارير التي تشير إلى الملايين من البشر الذين يقعون تحت خط الفقر في أفريقيا تعطينا صورة واضحة عن تخطيط العالم الغربي للقضاء على الشعوب الفقيرة.

فما قدمته الهيئات الدولية والدول الصناعية من معونات للمناطق الأفريقية التي يكتسحها الجوع لا تفي بعُشر الحاجة التي تحتاجها تلك الشعوب، والدول الصناعية قادرة على منح هذه الشعوب الفقيرة الكثير من الغذاء والدواء حتى تفي ما تحتاجه منه.

وتشير التقارير إلى فائض الغذاء في الدول الغنية، وما يقدم للحيوانات وما يُلقى في القمامات، هو أكثر بكثير مما يقدم للشعوب الفقيرة المنكوبة، لكن الدول الصناعية لا تريد أن تحيا شعوب العالم الفقير، بل تريدها أن تموت وتفنى ليتخلص العالم الصناعي المتقدم منها، لأنه يعتبرها عالة عليه يجب التخلص منها بأي شكل من الأشكال.

ونعتقد أن المسؤولية الأخلاقية تجاه الشعوب الفقيرة معدومة لدى العالم الصناعي إذ لو كانت موجودة فإن مشاهد الجوع والفقر والعطش التي نراها كل يوم في الفضائيات يجب أن تهز الضمائر في العالم الصناعي، فآلاف يموتون يومياً دون إبداء أي تأثر أو حس إنساني تجاههم.

وإذا كان الإيدز والجفاف والتصحر مظاهر أساسية في المشهد المأساوي للشعوب الفقيرة فإن مظهر الحروب الداخلية والخارجية وأساليب الإبادة القبلية يعتبر من المشاهد الأساسية المثيرة، فما يجري من هذا المظهر على الساحة الأفريقية والآسيوية ينبه إلى أن العالم الصناعي ليس بعيداً عما يحدث، فمخلفات الاستعمار القديم وكذلك التطلع الاقتصادي الاستعماري الجديد يشيران بوضوح إلى أن العالم الصناعي يلعب دوراً أخطر في الحروب القبلية والدولية والإثنية، وما تجارة الماس إلا شاهد على ذلك.

ولعلنا نذكر أنه خلال عشر سنوات ماضية كانت نسبة القتلى في أفريقيا تفوق كل تصور، فمئات الألوف قضوا ضحية العنف بين التوتسي والهوتو في رواندا وبروندي، ومئات الألوف ذهبوا هباء منثوراً في الحرب الدائرة بين أفراد الشعب

الكونغولي والسيراليوني وساحل العاج وجنوب السودان، وكل هذه الآلاف من البشر ليس لها اعتبار في عالم الغرب الصناعي طالما أنها تؤدي خدمة لأهدافها الاستراتيجية وأهمها تفريغ الأرض من سكانها لتبقى ثرواتها مستغلّة من قبل العالم الصناعي، ومن الواضح جداً عدم الاكتراث لمن يموتون قتلاً أو جوعاً، وإلا لو كان العالم الغربي يريد حلاً حقيقياً للأزمات والحروب المستعصية في أفريقيا لحُلت جميع المشاكل، ولكن لا يريد حلاً ولا يسعى له.

أندونيسيا التي حاولت النهوض والتقدم والمنافسة الاقتصادية حوصرت بشكل اقتصادي مخيف، وقام الغرب بتمزيقها إلى دويلات وما زال يفعل جاهداً لتمزيقها.

جنوب أفريقيا الغنية بالماس والصناعات الحربية دمّر شعبها من خلال تصدير الإيدز لهم، ومن خلال زيادة سيطرة العنصر الأبيض على المناجم والخامات والصناعات الثقيلة، الكونغو التي تعتبر من أغنى دول أفريقيا خلقوا لها حرباً أهلية، وحركوا دولاً أفريقية للتدخل في شؤونها حتى لا تستقر مطلقاً، ولا تُحل مشاكلها.

وقس على ذلك معظم دول آسيا وأفريقيا، وإذا كان الغرب الصناعي يريد فعلاً إنقاذ البشرية من الفقر والمرض والجهل - ولن يفعل - فعليه التفكير أخلاقياً وإنسانياً بتنظيم الموارد الطبيعية، وتوزيعها بالتساوي بين أفراد الشعوب، فما يعانيه العالم من هذه العولمة اليوم هو زيادة غنى الغني، وزيادة فقر الفقراء، وقد أصبحت الهوة شاسعة بين الطرفين.

ومن باب أولى أن لا يفتعل الغرب الصناعي الأزمات والحروب ويغذي الصراعات القبلية، فهذه الأزمات هي الأشد فتكاً بالشعوب الراغبة في التنمية وتحسين أوضاعها البيئية والجغرافية، فبدل أن تصدر الأسلحة خفيةً إلى المتصارعين، فمن المفترض أن تصدر الأغذية أولاً، ومخططات بناء السدود وتصدير الأدوية اللازمة للقضاء على الحشرات القاتلة الفتاكة بالمحاصيل الزراعية الأساسية.

وبدل أن يطلب العالم الصناعي إيقاف النسل وإيقاف زيادة السكان عليه أن يعمل جاهداً لحملات التثقيف بين الشعوب حتى ينظم النسل ولا يقضي عليه.

وبدل أن يتجاهل الغرب الصناعي طبيعة الشعوب وثقافتها، عليه أن يمنح كل شعوب الأرض فرصتها حتى تتمكن من إيقاف النزيف البشري والاقتصادي في مجتمعاتها.

وهيهات أن يفهم الغرب الصناعي هذا الدور الأخلاقي الإنساني، ويبدو أن طبيعة الفكر الذي يحمله الغرب ليس بعيداً عن إرث ما يسمى الرجل الأبيض الذي قضى على الهنود الحمر قضاءً مبرماً، واستعبد شعوباً سوداء، ونقل خير شبابها إلى عالمه ليكونوا عبيداً مسخرين في مزارعه ومصانعه، وحتى في أماكنه المشبوهة.

رابعاً: العولمة وسيادة الثقافة الواحدة:

هيمنة أحادية أم تسويق ثقافي فاسد؟

تعاظمت نداءات الإدارة الأمريكية ومحاولاتها لتسويق النظام الاقتصادي والاجتماعي والسلوكي كنمط واحد في العالم، ويسمون هذا النظام النمط الأمريكي.

بطبيعة الحال فإن ما يقصدونه هو النمط الرأسمالي بثقافته وتصوراته الاجتماعية والاقتصادية، فبعد انهيار النظام الشيوعي وانهيار ثقافته بدا واضحاً وكأن نمطاً وحيداً واحداً هو الصالح فقط كي يكون مثالاً يُحتذى للأمم والشعوب كلها.

وراح الكثيرون من المعجبين بهذا النمط الأمريكي يروجون له في العالم كله بما فيه العالمين العربي والإسلامي.

وتأتي أحداث ما بعد الحادي عشر من الشهر التاسع ليرتفع الصوت الأمريكي عالياً ليقول: إن النموذج الأمريكي يجب أن يسود العالم على الصعد كلها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

قد يكون هذا الحديث ضيق التناول بين الأوساط الجماهيرية لشعوب العالم قاطبة، لكنه يفرض نفسه في أوساط بعض المفكرين والسياسيين وأصحاب الشأن.

وبات من الطبيعي أن يطرح كل منا أسئلته على قدر فهمه للحاضر والمستقبل، حاضر الأمة ومستقبلها باعتبار أن الأمة العربية والإسلامية ستظل مستهدفة من عدة قوى، ومن عدة تيارات فكرية، باعتبارها لا تزال تحمل مخزوناً فكرياً قد يتقدم على

غيره من مخزون الأمم والشعوب التي انهارت مع انهيار النظم التي كانت سائدة قبل عقد التسعينات.

وبداية لا يجدر بنا أن نسلم بتلك التي تطرح سيادة الثقافة الواحدة مهما كانت أسسها وتوجهاتها الوضعية، ومهما كان مصدرها البشري، وحتى تستوضح تفصيلات الطرح المذكور لا بد أن نشير إلى حقائق لا يختلف عليها إثنان.

إن النموذج الثقافي الفكري الأمريكي ليس بالضرورة مثالاً للثقافة العالمية الإنسانية فهو بشكل أو بآخر وُجد للأمريكيين، ولكنه غير صالح مثلاً لزمبابوي أو اليمن أو بورما وحتى في الدول المشابهة لأمريكا من حيث نمطها الرأسمالي تجد في تسيّد النمط الثقافي الأمريكي خطراً على ثقافتها ومثال ذلك فرنسا وبعض الدول الغربية.

وعندما تطرح ثقافة ما كبديل لثقافات الشعوب كلها لا بد أن تكون عالمية القيم وإنسانية المُثل، وحتى وقت قريب كان مفهوم الحرية الشخصية في أمريكا يبهر الكثيرين ويعجبهم، وبعد الأحداث الأخيرة أصبح الكثيرون من الأمريكيين يعيشون حالة التقيّد والتضييق الأمني هي أشبه بأي حالة في الدولة الديكتاتورية كتشيلي مثلاً أيام حكم بينوشيه، ولعل الإجراء الأمني الذي اتخذته أمريكا والمتعلق بالتنصت على المكالمات الهاتفية أشعر المواطن الأمريكي بأنه مراقب حتى داخل غرفة نومه.

وهذا بالطبع جزء يسير من النمط الأمريكي الذي تحول من حرية إلى تقيد، ومن أمان إلى عدم أمان، وهذا ما يقودنا إلى القول إن الثقافة البديلة التي يطرحون النموذج الأمريكي مثالاً لها هي متبدلة غير ثابتة حتى في الولايات المتحدة ذاتها.

وإذا أخذنا النموذج الاقتصادي الأمريكي الحالي فإننا سنرى نمطاً يتزعم هستريا العولمة، فمجموعة الآليات المقنّنة اقتصادياً في التوجه الاقتصادي الأمريكي لا تحسب حساباً للأمم الفقيرة والدول الصغيرة من العالم الثالث، فهي منسحقة تماماً أمام تيار العولمة الذي تسعى الولايات المتحدة فرضه على العالم.

ونعتقد أن العالم الذي يسمونه ثالثاً يعيش في أغلبه حالة فقر اقتصادي، والدول الصناعية المعدودة على الأصابع تتحكم بالمال والاقتصاد العالميين، ولا نرى في العالم هذا دولة إلا وعليها من الديون ما تعجز عن سداده في مئة عام.

فكيف يكون النموذج الاقتصادي الأمريكي مثالاً يُحتذى وهو في أساسه اقتصاد يكرس رأسمالية أمريكية وينفي ويلغي الاقتصادات الأخرى كلها لا سيما اقتصادات الدول الفقيرة والنامية.

إن النموذج الثقافي الأمريكي نموذج متلون المشارب، وفي معظمة ليس إلا تصديراً لنمط أوربي قديم ترفضه اليوم معظم الدول الأوربية، وبمعنى آخر فإن هذا النموذج لم يتأسس في نسق حضاري كما هو الحال مثلاً لدى الشعوب صاحبة الحضارات التقليدية المعروفة، وحتى هذه اللحظة لا يزال هذا النموذج نموذجاً تجريبياً خاضعاً للتبديل والتغيّر والتطوير أو عدمه، وهذا التغيّر والتبدل أمر طبيعي ما دام المجتمع الأمريكي يحوي من عناصر التكوين البشرية ما هو متناقض أو متنافر لا سيما في الأفكار والمعتقدات والعقائد الدينية والفلسفية وغيرها.

فما الذي يجمع الفكر البوذي مع الفكر الإفريقي الوثني أو الطوطمي، وما الذي يجمع المسلم بالوثني الذي يؤمن بالأرواح الشريرة مثلاً؟

إن التجربة أكدت أن النموذج الأمريكي الثقافي لا يزال غير قابل لكثير من الأعراق والأجناس والديانات والثقافات، وكأن الذي حدث رفع الغطاء عن حقيقة أن النموذج الثقافي الأمريكي ليس سوى نموذج الأنجلو ساكسون فحسب.

وما تحمله الشعوب والأعراق الأخرى من ثقافات ومعتقدات ليس له أي قيمة في سلم المعايير الثقافية الأمريكية.

بعد انهيار النظام الشيوعي وتداعياته على أوربا الشرقية وغيرها من المناطق بدا لكثير من الشعوب أن الأفكار المعاكسة للرأسمالية ليست إلا نماذج هشة وسطحية، لكن الأخطر من ذلك أن هذه الشعوب فقدت توازنها الفكري والثقافي، فلا هي قادرة على تمثل الرأسمالية، ولا هي قادرة على التمسك بنماذج فكرية باتت ضعيفة ومتلاشية أحياناً، وهنا برز الدور الأمريكي في نشر النموذج الرأسمالي الثقافي، حيث راح الكثيرون يدعون إلى العولمة، ولو كانت على حساب تراثهم وثقافتهم الوطنية المحلية أو القومية.

وبات من الواضح أن جميع النماذج الثقافية التي سادت خلال العقود القليلة الماضية راحت تفقد كثيراً من ثوابتها الفكرية وتميل باتجاه الذوبان في الاتجاه العولمي الذي تتسيده الولايات المتحدة.

وعلى الرغم من أن العالم العربي والإسلامي لم يشكل نموذجاً اقتصادياً يوازي النموذج الرأسمالي إلا أن الباحثين والدارسين كلهم يرون أن العالم العربي والإسلامي يجدد دوماً نموذجاً فكرياً خاصاً يصعب على التوجه الفكري العولمي ابتلاعه أو التأثير فيه كما حدث مع غيره، قد يرى بعضنا أن هذا الطرح مبالغ فيه، فهناك الكثير من العلاقات الدالة على التأثير بل الانخراط في بعض آليات العولمة التي فرضتها الرأسمالية الأمريكية.

قد تكون بعض الملامح الاقتصادية تشير إلى وجود تأثير في الجانب الاقتصادي نفسه، ولكن قد يكون مستغرباً أن نرى من يدعو إلى تمثّل النموذج الثقافي الأمريكي على حساب النموذج العربي الإسلامي المتمثل في طبيعة الأبعاد العقيدية والتراث العربي واللغة العربية التي يحاول بعضنا القفز عنها، ويعتبرها من مخلفات الماضي، والذي يُلفت النظر أن النموذج الإسلامي التنويري يؤثر الآن وبشكل واضح في الكثيرين من الذين كانوا قبل أحداث أمريكا لا يعرفون شيئاً عن الإسلام سوى الوجه الإرهابي الذي صنعته وسائل الإعلام الصهيونية والمتحالفة معها.

ويبدو أن أمريكا وكذلك الغرب يدركان أن التصادم وليس التفاهم هو الذي سيسود العلاقات بين الشرق والغرب على الرغم من كل المحاولات الجارية لتسويق الثقافة الأمريكية في العالمين العربي والإسلامي، وقد اعترف بذلك أكثر من مسؤول أمريكي، فقد قال جون ليسي رئيس مجلس إدارة شركة ويبر شاندويك وهي شركة علاقات عامة في أمريكا: ليس من الواقعي كثيراً وقد يكون من غير المثمر أن نوحي بأنه بإمكاننا تسويق قيم أمريكا في الشارع العربي على المدى القريب، وقال: ليست هذه حرباً يمكننا الانتصار فيها عبر الموجات الإذاعية، بل يتحتم علينا خوضها في الشارع، ويبدو للأمريكان وللغرب عموماً أن الإسلام إذا ما وصل إلى البنى التحتية

الشعبية في مجتمعاته فإنه بالمقارنة مع ما يسوده من فراغ روحي وعلاقات غير سليمة بين الناس سيكون له الحظ الأوفر من الانتشار والتقبل.

من هنا نقول: إن من المستحيل أن يصبح النموذج الثقافي الأمريكي سيد العالم لأنه لا يمتلك ما يمتلكه الشرق الإسلامي من عمق عقيدي يقوم على أسس إنسانية واضحة، فهذا العالم العربي الإسلامي الذي حمل قيم الإسلام سلاماً وتفاهماً بين الشعوب ما زال ينقل البشر من ضلال المادة والوثنية إلى حقيقة الروح والتسامي والأحدية، وإذا كان المفكرون والسياسيون الأمريكيون يظنون أن تسويق النموذج الأمريكي ثقافياً بالقوة وبفرض الأفكار فرضاً فإن ذلك يعني التصادم الحتمي والمكشوف والمباشر، والتصادم الذي يعني رفض الأفكار الأمريكية كلها والعمل الدؤوب على محاربتها، وإذا كان بعضنا يبحث عن حلول وسط فإن الواقع يقول لنا: إن عالمنا العربي والإسلامي يمتلك نموذجاً ثقافياً يعترف له الجميع بفضله على بني البشرية.

وإن حاول بعض المغرضين من إعلاميين صهاينة ومتعصبين غربيين أن يصوروا الإسلام إرهابياً بسبب ما حدث في نيويورك وواشنطن فإننا نعرف يقيناً أن النموذج الإسلامي العربي يقوم أساساً على احترام الآخر لا نفيه، وعلى تقبل أشكال الثقافات العالمية كلها دون تشنج أو تعصب، ولكن دون أن يكون للتغلغل الثقافي الفاسد دور في تخريب العقل العربي أو تشويهه أو محاولة خداعه وإبعاده عن عقيدته الإسلامية وتراثه الكبير وقيمه الخالدة.

خامساً: الصهيونية والعولمة، عالمية التسيّب وخصوصية التسيّد:

لماذا يفرض علينا أن نتقبل العولمة كقدر محتوم؟ ونلغي تراثنا وثقافتنا وعقائدنا؟ كيف يتعامل العدو الصهيوني مع العولمة في جانبها الثقافي والديني والاقتصادي؟

لا نريد أن نعيد مضغ الشعارات والبديهيات ونقول: إن الصهيونية تتحكم مالياً واقتصادياً بالعالم، فهذا الأمر المكشوف ليس من الأسرار، وليس من المستهجنات، إنه أمر واقع، نعم كان اليهود وما يزالون يتحكمون بالمال العالمي والاقتصاد الدولي.

العولمة ليست جانباً واحداً وهو الاقتصاد، إنها كما هو معروف منظومة متكاملة من التحكم الاقتصادي والإلغاء الديني والقومي والوطني.

وإذا كنا كعرب أو كأمة عربية وإسلامية قد شغلت مفكريها وباحثيها مسألة العولمة وأخذت من أوقاتهم أغلاها، ومن مناقشاتهم أصخبها، ومن محاضراتهم ومناظراتهم أوسعها وأخطرها، فكيف لم نفكر بسؤال مشروع نطرحه على أنفسنا وعلى أبناء أمتنا، وهو:

ما شأن العولمة لدى الصهيونية والكيان الصهيوني العدو المباشر لأمتنا؟ كيف يتعامل هذا العدو مع مفهوم العولمة، لماذا لم نسمع مفكراً عربياً يتنطح لدراسة العولمة وكيفية تعامل الفكر الصهيوني معها؟ ولماذا يصدر إلينا الصراع حول العولمة فنصبح الأخوة الأعداء منا الرافض، ومنا القابل والمروّج، ومنا الحائر المتخبط بينما نحن غافلون تماماً أو نائمون تماماً عن فهم العلاقة بين العولمة وعدونا الصهيوني؟

العدو الصهيوني يرفض العولمة إن لم يكن هو الرأس منها والمدبر لها، يريدها أداة لتحكُّمه في الاقتصاد العالمي، لكنه يرفضها إذا كانت تمس الثقافة الصهيونية والتراث اليهودي والهوية التي يريد لها أن تسجّل في سجل الهويات للأمم والشعوب.

قد يكون هذا الكلام لا معنى له في لغة الحقائق والوثائق والموضوعية، لكنه في الوقت نفسه قد يكون صدمة أو ضربة على الرأس ليصحو المرء على مسألة هي من أخطر المسائل التي نغفل أو نتغافل عنها.

مطلوب منا كعرب ومسلمين أن نتقبل العولمة، ندخلها ونهضمها، وليس مهماً أن نلغي عقائدنا وتراثنا وثقافتنا، فهي تستحق أن توضع في المتاحف كما يقول المفلسون والحاقدون.

ومطلوب من اليهود أن يصدروا مفهوم العولمة ويعمموه بشرط أن تكون السيادة لهم ولثقافتهم وتراثهم إذا كان لديهم تراث، فاليهود شعب الله المختار، والآخرون خلقوا ليكونوا خدماً لهذا الشعب كما تقول التوراة، الاقتصاد العالمي لا يحيا دون رأسمال، والرأس مال موجود في أيدي أغنياء العالم من اليهود، والعولمة تعني بالمحصلة عدم وجود رؤوس الأموال الصغيرة والمتوسطة، فالكبيرة تلتهم كل شيء والقوي يأكل الضعيف.

وباعتبار أننا لسنا من الاقتصاديين فلنترك الاقتصاد لأصحابه علهم ينتبهون لمخاطر العولمة اليهودية البغيضة.

ماذا تعني العولمة في المفهوم الصهيوني على المستوى الفكري والثقافي والتراثي؟

منذ نهاية القرن التاسع عشر طرحت الحركة الصهيونية أفكارها المستقبلية وحددت رؤيتها تجاه العلاقات مع الشعوب وذلك على ضوء مشروعها السياسي الفكري الهادف إلى إنشاء كيان يجمع يهود العالم في فلسطين باعتبار أنها أرض الميعاد لكافة اليهود حسب ما يزعمون، والحركة الصهيونية لم تفكك نفسها بعد أن حققت إقامة الكيان بل ظلت قائمة ومنتشرة، وظلت تسعى إلى نشر أفكارها السياسية والفكرية والفلسفية في أرجاء العالم، وكما بات من المؤكد هيمنة المال اليهودي على الاقتصاد العالمي فإن هيمنة فكرة الصهيونية أصبحت ظاهرة جلية في الأوساط الأمريكية خاصة والغربية بشكل عام، وليس غريباً أن نجد الآن أكثر من مئة مليون بروتستانتي أمريكي يؤمنون بما تؤمن به الصهيونية اليهودية.

فالعولمة في هذا الإطار تعني سيادة الفكرة الصهيونية على مجمل الأفكار والفلسفات الأمريكية والغربية والبروتستانتية، وعلى الرغم من كثرة دعاة الصهيونية، وعلى الرغم من مرور أكثر من قرن على بروز الحركة الصهيونية فإن هذه الحركة تلعب الدور الأخطر في توجه الطغيان الأمريكي بكل فلسفاته وأفكاره.

الفكرة الصهيونية فكرة خلق ما يسمى القومية اليهودية الخاصة، وهي حسب كل من يؤمنون بها، ابتداءً بالآباء الصهاينة الأولين أمثال هرتزل وموشي لايب وموسى هس، وانتهاءً بالسياسيين كبيغن وشارون وباراك ورابين وبيريز انتماء لا يمكن التفريط به.

وإذا عدنا إلى مطالب العولمة التي لم تعلن بل يُعمل لأجلها، وجدنا أنها تسعى إلى إلغاء القومية العربية أولاً، وإلغاء المضمون العقيدي ثانياً، فالعربي وكذلك الإيراني والتركي والأفغاني والنيجيري يجب أن يتخلى عن قوميته حتى يدخل عالم العولمة، يجب أن لا تبقى القوميات محركة للشعوب للتقدم والاعتزاز لأنها حسب العولمة لا تناسب العصر، فاذا كان هذا هو الحل بالنسبة للإطارات القومية في العالم

الفقير فما هو الحل بشأن الصهيونية؟ هل يتخلى الصهاينة عنها؟ هل يجرؤ دعاة العولمة على التخلي عن الفكرة الصهيونية والكيان اليهودي القائم على الصهيونية؟ والحقيقة تقول لنا: إن العولمة هي اسم جديد للصهيونية ما دام منظروها هم أنفسهم منظرو الصهيونية، وما دام المنهج والاستيراتيجية والأدوات جميعها صهيونية، إن كانت يهودية العقيدة، أو بروستانتية أمريكية، فكلتا الصهيونيتين تخرجان من نفس الكهف التوراتي التلمودي المظلم.

أما على المستوى العقيدي والتراثي فإن أحد أهم العوامل الذرائعية في إقامة الكيان الصهيوني استناد التحرك الصهيوني على البعد العقيدي والتراثي، فإذا كان المطلوب من العرب والمسلمين ونصارى الشرق لكي يدخلوا العولمة أن يتخلوا عن كثير من عقائدهم وتراثهم ومعتقداتهم فإن الصهاينة يؤكدون أن التراث اليهودي سيدٌ لكل أشكال التراث، ويؤكدون كذلك تسيّد العقيدة اليهودية على كل العقائد والديانات، على الرغم من كل نفعيتها وانحرافها وعنصريتها.

لاحظ ماذا يقول ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني اليهودي الأسبق، وأحد أبرز مفكري الصهيونية الحديثة: (لا أحد يستطيع أن ينكر دور اليهود الرائع في تاريخ العالم، لقد بلغ الإسهام اليهودي ذروته وذاع صيته عندما أخرج للنور ثلاثة عباقرة صاغوا وكونوا أكثر من كل الآخرين حضارتنا الحالية، كارل ماركس، وسيغموند فرويد، وألبير أنشتاين، ومن النادر أن نجد شعباً من الشعوب في أبعاد مماثلة تمكن من إغناء الفكر البشري في كافة المجالات الدينية الاجتماعية الأخلاقية الفلسفية والفنية كما فعل الشعب اليهودي، ومن أجل أن نتيح له الاستمرار في تأدية إسهامه بالحضارة يجب أن نقر له بلا شك ليس فقط ادعاء شرعياً بهذا الشعب، وإنما أيضاً إلزاماً لا يقل شرعية من الوجهة الثقافية العالمية، والخير البشري).

ويقول متابعاً: (ليس هناك من واجب ملح من الوجهة الثقافية والروحية أكثر من إفهام هذا الجيل السمة الفريدة من نوعها لحياة اليهود في بلاد الشتات سواء من جوانبها الإيجابية أم السلبية، إذ لا شعب على الإطلاق يسمح لنفسه بإنكار وإهمال حقب طويلة من تاريخه استمرت لأجيال عديدة) ناحوم غولدمان، إسرائيل إلى أين، ص (12) ص (24).

وعلى ضوء ذلك تتصرف قيادات الحركة الصهيونية بحيث لا يمكن أن تكون العولمة إلا أسلوباً صهيونياً لتسيّد اليهود اقتصادياً، وثقافياً، وعقدياً.

وحسب غولدمان فإن الدين اليهودي هو الذي أفرز الدين المسيحي وكذلك الإسلامي، ويعود الفضل إليه في نشر عقيدة التوحيد كما يزعم، ويتساءل غولدمان: هل نحن اكتفينا بإقامة دولة مشابهة لكافة الدول الأخرى في العالم؟ أم أننا نطمح إلى أن نعطيها سمة فريدة وشاذة، بمعنى أن تكون مماثلة لما هو عليه تاريخنا).

ومرة أخرى نرى أن مهمة الصهيونية فيما يسمى العولمة تدمير تواريخ الأمم إلا التاريخ اليهودي، وتدمير كل ما تمتلكه الشعوب من تراث، وتسييد التراث اليهودي القائم على مقولة شعب الله المختار، وتدمير كافة العقائد والديانات، وسيادة دين الحاخامات اليهود.

في طبيعة الفكرة الصهيونية مسألة المركز الذي يعني أن اليهودي هو محور الكون بشرياً، وأن الكيان الصهيوني محور الكون قوة نسبة إلى حجمه الصغير وفعله الكبير، وفي ظل العولمة المطروحة فإن ظواهر الأمور تقول: بأنها تقرب العالم من الوحدة الاقتصادية، وتقربه من بناء ثقافة مشتركة للجميع، وتطلعات مستقبلية صالحة لكل مواطني العالم، إنها بالمحصلة شعارات محرفة قليلاً عن شعارات الحكومة الماسونية العالمية، وشعارات دهاة صهيون بينما مضمونها واحد، وكذلك أهدافها وغاياتها، ألم تطرح الماسونية شعارات الحرية والإخاء والمحبة؟ ألم تطرح بروتوكولات دهاة صهيون مفهوم الحكومة العالمية؟ ألم يقل جابوتنسكي يوماً بأنك أيها اليهودي أنت الحقيقة وحدك وما عداك باطل؟ تلك هي حال العولمة الصهيونية على نطاق العالم، فما هو الحال بالنسبة للكيان الصهيوني؟ لا شك أن هذا الكيان لا ينفصل عن المنظومة الصهيونية الكلية، ولكنّ للتجمع الصهيوني في الكيان شأناً آخر وحظاً آخر من العولمة.

مما لا ريب فيه أن النسيج اليهودي داخل الكيان هو من خيوط مختلفة الألوان مختلفة الطبيعة، فمن هو علماني يعيش في أعماقه ما هو ديني، ومن هو ديني تنحط به العلاقات الاجتماعية ليصبح لا أخلاقياً ولا علمانياً، ومع كل هذا وذاك يحاول

القادة الدينيون تثبيت أسطورة تفوق الجنس اليهودي إذا صح التعبير، وفي الوقت نفسه يثبتون مواقعهم القيادية في الكيان ليصبح أو يظل الطابع التوراتي مسيطراً على مجمل الحياة اليهودية السياسية وخاصة في جانبها الصدامي التوتري، وطبيعة بقاء هذا الكيان ترتبط كلية بخلق حالة مستمدة من التوتر العصابي، فهو لا يستطيع أن يحيا دون عنف، وبمعنى آخر فإنه لا يعرف من مفهوم السلام شيئاً، فالسلام نقيض الحياة بالنسبة للشخصية الصهيونية، فكيف يوفق بين مفهوم ما يسمى العولمة وبين طبيعته، ألم يقولوا: إن العولمة خلق ثقافة مشتركة وعالم إنساني جديد، إن أكثر المنظرين الصهاينة يرون أن اليهود يمتلكون حق سيادة العالم لأنهم أصحاب أقدم تراث ديني على الإطلاق حسب زعمهم.

فالعولمة بنظر اليهود داخل الكيان لا تعني أكثر من مطية يركبونها ويقودونها من أجل مصلحتهم ووجودهم الاستعماري، وتفوقهم وقوتهم المالية والاقتصادية والهيمنة على كل قنوات التطور البشري.

أما العلاقات القائمة بين أفراد هذا التجمع وكذلك أهدافهم وغاياتهم فهي في حل من التفكير فيما يسمى العولمة ما دام أكبر الأدمغة اليهودية العالمية يشتغل نيابة عنه وعن كل يهودي يؤمن بسيادة شعب الله المختار.

كيف يفكر أفراد هذا التجمع الصهيوني بالعولمة إذا كان فعلاً يفكر بها؟ أو إذا سمح لنفسه أن يتجاوز العقول الكبرى التي تسيره وتغذيه وتحييه وتنظر له وتصدر للعالم الآخر معالم العولمة وظاهرها وباطنها.

الحق يقال إن الشخصية اليهودية التي لعبت دوماً دور المخرب في المجتمعات العالمية لا تنفك تعمل في سبيل التخريب الدائم في العقائد والأديان والفلسفات والأفكار والثقافات والإعلام، وهذا التخريب يعني في العولمة تسيّب الإنسان العربي وتسيد اليهودي مهما حاولنا خداع أنفسنا وتبسيط صراعنا.

يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 75].

ويقول تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 67].

سادساً: العولمة: نموذج تربوي أمريكي لتعليم المسلمين دينهم!!:

أمريكا تشكل لجنة من كبار الباحثين التربويين لدراسة كيفية صنع مناهج التعليم الإسلامي وتصديرها إلى الدول العربية والإسلامية، لأن هذه الدول تفتقر كثيراً لمناهج التعليم الإسلامي، ولأنها أيضاً فقيرة بالباحثين التربويين المتخصصين بوضع المناهج التربوية والتعليمية لأبناء شعوبهم.

هذا آخر ما تفكر به العولمة على الطريقة الأمريكية، وهذا آخر ما نشر من صرعات الخيال الأمريكي بعد الحادي عشر من أيلول سبتمبر، وهذا أحد الأنماط الفكرية للتصور الأمريكي للهيمنة على العالم العربي والإسلامي روحياً وثقافياً، والأمر الذي يثير الاستهجان والاستغراب هو أن زعماء السياسة الأمريكية يقدمون هذا النمط من التعليم الإسلامي وكأنهم يحاولون تصديق أنفسهم بأنهم قادرون على إلغاء الإسلام، واستبداله بإسلام على الطريقة الأمريكية.

ومناهج تعليم المسلمين على الطريقة العولمية الأمريكية تضع في أوليات تخطيطها حذف كافة آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الجهاد والقتال، وكذلك حذف كل الآيات التي تذم وتفضح بني إسرائيل واليهود، وبمعنى آخر صنع قرآن أمريكي والعياذ بالله.

ومن الطبيعي أن يوصف هذا التفكير بالسذاجة والسخف قبل أن يوصف بأنه حاقد شرير، وصهيوني مارق.

وسذاجته ليست أقل انحطاطاً من حقده، لكن الذي يدفع هذا التفكير الأمريكي لمثل هذا التوجه ليس إلا استخفافاً بالوضع العربي المتردي، وما جعل الأمريكيين يفكرون بذلك هو هذا الوضع المزري للشخصية العربية الرسمية بأغلبيتها، فهذه العربية الرسمية وُضعت تحت المحك منذ زمن، وكلما ازداد حكها تبين أنها من معدن غير كريم، وجهه مثل جوهره.

فالأزمات التي مرت في المنطقة أثبتت عجز النظام العربي القائم، بل أثبتت تقبله لكل ما يفرض عليه بدءاً من رفع أو خفض الإنتاج البترولي وأسعاره، وانتهاءً

بفرض النمط الثقافي والسلوكي الأمريكي، وما بينهما الكثير الكثير من الأوامر الأمريكية، التي تفرض دون أي احتجاج أو اعتراض، ولكن إذا كان التصور الأمريكي قد تجاوز الخطوط الحمر بالتعاطي مع العالم العربي فإنه لاشك يزرع بذور الصراع الديني والقومي، بل يؤسس لمواجهة شمولية لن تكون سهلة بالمستقبل.

وحتى إذا استطاعت الولايات المتحدة أن تفرض تصورها التربوي الإسلامي على النظام الرسمي العربي، فإن الشعب العربي والمسلمين ما يزالون وسيبقون متمسكين بهويتهم أولاً، ومناهجهم التربوية ثانياً، وما يقدم للجماهير من فتات الثقافة الإسلامية كان وما يزال أمراً هامشياً جداً في حياة المواطنين، والذي يعوّل عليه تلك الثقافة الإسلامية وعلوم الإسلام التي تُنهل من العلماء والمعاهد والجامعات الإسلامية العريقة والخاصة في أكثر الأقطار العربية والإسلامية، وهذا النمط الأمريكي مرفوض بشكل بدهي حتى لو فرض في المدارس الرسمية وبعض الجامعات.

ولنا أن نضرب أكثر من مثال على ذلك، ففي تركيا يشكل المسلمون 99٪ من عدد السكان والنظام القائم في هذا البلد هو نظام معاد للدين الإسلامي وليس علمانياً فحسب، ونحن نعرف أن مجمل الدول الغربية ليست دولاً دينية وهي تفصل بين الدين والدولة، ولكنها ليست معادية للكنيسة، وليست قاهرة للمتدينين المسيحيين، إنما في تركيا يعيش المسلمون حالة غريبة من الرعب والحرب على عقيدتهم، وعلى الرغم من ذلك فإن المساجد والحركات الإسلامية الفكرية والصوفية والجمعيات الإصلاحية والمدنية ما تزال هي المغذي الأقوى لروح الإسلام وتعاليمه بين الشعب التركي، ومن الصعب جداً اقتلاع الإسلام من قلوب أتباعه لأنه عقيدة تخص جوهر الإنسان قبل شكله وسلوكه، وهاهي تركيا اليوم تعيش أزمة للهوية، فلا هي قادرة على التخلي عن الشخصية الإسلامية، ولا هي قادرة على ابتداع هوية أوروبية، ويرى المفكرون الأتراك أن تركيا اليوم هي وليدة العثمانية بكل الأشكال، والعثمانية ما كان لها أن تتمدد وتتسع وتفرض هيمنتها على الشرق العربي وبعض أجزاء أوروبا لولا تبنيها الإسلام، وإذا فتشت عن ثقافة تركية خاصة ومنفصلة عن الإسلام لما وجدت شيئاً لا حضارة ولا ثقافة ولا هوية، إنما جذوراً بدوية متنقلة

بالسيوف والسهام، وقس على ذلك أندونيسيا وباكستان وغيرهما من الدول التي لا تستطيع حكوماتها أن تنفصل عن الهوية الإسلامية حتى لو كانت في موقف معاد ومستهتر بالقيم الإسلامية الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

فإذا كان التفكير الأمريكي ينصب على ابتداع إسلام أمريكي، فهذا يعني أنه سيلغي ألفاً وأربعمائة سنة من الإسلام، من الفقه الديني والتفسير القرآني، من السيرة النبوية والأفكار الإسلامية، ومن اجتهادات مئات العلماء والفلاسفة المسلمين الذي رسخوا في العقول والقلوب مبادئ أساسية للحياة والناس كافة.

إنه يعني انسلاخ الأمة عن جذورها، عن تراثها، عن عقيدتها، عن تاريخها لتعيش الحاضر الأمريكي فقط، الذي يريد من أفراد هذه الأمة أن يكونوا مجترين للثقافة الأمريكية، وإذا رحنا ننبش في التفاصيل فإن ما يستوقفنا ويدهشنا في آن معاً هو أن التوجه الأمريكي يريد أن يقلب المخزون النفسي لدى الإنسان العربي المسلم، يريد أن يحول كره المحتل إلى حب له، فإذا كان العدو الصهيوني التلمودي الدموي يمثل في المخزون النفسي العربي والمسلم أبشع أنواع الشر، فعلى النمط الأمريكي التربوي يصبح هذا العدو صديقاً محبباً مقبولاً، حتى لو ارتكب في حقنا الجرائم الإنسانية، ويجب أن نعذره ونعذره حتى لو حوّل فلسطين كلها إلى مستعمرة يهودية خالصة وطرد كل فلسطيني يقول إن هويته فلسطينية.

فهل من العقل أن يحول التصور التربوي الأمريكي الكره إلى محبة؟ وهل هناك قناعة بهذا التصور؟

وعلى مستوى آخر فإن الإنسان العربي والمسلم الذي تعود العفة والحفاظ على الأسرة وذم الرذائل والسلوك الشائن يراد له في التصور الأمريكي أن يذيب جميع القيود الأخلاقية، فالأسرة يجب أن تكون على النمط الغربي، وهذا النمط يقر بالأسر غير الشرعية، ويصبح الجنس مثلاً كما هو في المفهوم الغربي حاجة عضوية ليس لها علاقة بالمحرمات الدينية، والقيم الأخلاقية، والأعراف الاجتماعية.

فإذا كان التصور الأمريكي التربوي يريد للمسلمين أن يبدلوا المشاعر ويقلبوا السلوك حتى يصبحوا عصريين مقبولين فإنه بذلك يؤكد آلية تصوره القاضية بحذف

جميع الأسس الدينية والنفسية والاجتماعية التي قدمها القرآن الكريم، وبينتها سنة النبي محمد ـ ﷺ ـ وإذا كنا مبالغين في ذلك حسب زعم بعضهم أو متهمين بأننا نتجنى على التصور الأمريكي فلنا الحق أن نتساءل أولاً بأول، ما الذي يحويه المفهوم التربوي الأمريكي الذي يصنع للمسلمين؟ هل يحوي قيم الحرية والنضال ضد المحتل الصهيوني وعنفه الدموي؟

أم أنه يحوي طلب الخنوع والذل لهذا الاحتلال وقبوله بكل ما أوتي من صلف ووحشية وعنصرية؟

هل يحوي قيم الجهاد والنضال ودفع الظلم، أم أنه يدفع باتجاه إلغاء هذا المفهوم الإسلامي الخاص الذي هو فرض على المظلومين المقهورين والمحتلة أرضهم والمهددة بلادهم؟

إن قيم الدفاع عن الأرض المحتلة وعن المظلومين أينما كانوا هي قيم الإسلام الأساسية، والمطلوب أميركياً أن تحذف قيم الإسلام لأنها قيم الدفاع عن النفس والعرض والأرض، وإذا كانوا يحاولون تزييف توجهاتهم فإن لدينا آلاف الأسباب التي تشير إلى اعوجاج تفكيرهم وانحراف أهدافهم، إنهم يقولون إن النمط الذي نريده يعلم المسلمين التسامح والمحبة، وكأن المسلمين لا يعرفون التسامح والمحبة، وكأنهم هم الذين يعرفون وتسامحهم يتناسى هيروشيما وفيتنام وفلسطين وأفغانستان وغيرها.

إنه لمن المدهش حقاً أن نسمع الأمريكان وهم يصرحون بأنهم يتصورون نمطاً تربوياً خاصاً يعلم التسامح والمحبة، وهم يدركون تماماً أن الإسلام هو دين التسامح كما هو دين العزة والقوة والحرية والكرامة، وهو دين المحبة كما هو دين ردّ العدوان ودفع الظالمين وقهر الشر أينما كان، لكنهم يريدون إسلاماً بلا قوة، بلا حرية بلا عزة أو كرامة، ويريدون الإسلام قابلاً للعدوان، راضياً بالظلم والشر، خانعاً للاستلاب والنهب.

وليس أدل على ذلك من موقف أمريكا والغرب برمته مما يجري على أرض فلسطين، فالمسلمون الذي يجاهدون لدفع الظلم والاستلاب والعدوان والاحتلال

هم إرهابيون يجب محاربتهم، بينما الصهاينة المحتلون المتوحشون القاتلون يدافعون عن أنفسهم ولهم الحق بنسف بيوت الفقراء، وقلع أشجار الزيتون، ونسف المدارس والمساجد، فحسب نمطهم التربوي يريدون شعب فلسطين بلا هوية بلا ملامح يريدونه منقطع الجذور والصلات بأمته العربية والإسلامية، يريدون منه أن يلغي ارتباطه الديني بالقدس والمسجد الأقصى.

ويجدر بنا أن نتوقف هنا لنذكر أن مناهج التربية الدينية في كافة المدارس والمعاهد والجامعات الخاصة الموجودة في الولايات المتحدة تستند في تربيتها على بعد ديني بروتستانتي متطرف وفي ميتشغن وشيكاغو أمثلة كثيرة على ذلك، وهذه المدارس والمعاهد هي التي تخرج الجماعات الإرهابية العنصرية كجماعة كوكلوكس كلان ومجموعات متشغن المسلحة، فهل فكرت الولايات المتحدة وإدارتها بتغيير مناهج التربية في تلك المدارس والمعاهد؟

ونشير هنا إلى أن تياراً أصولياً عنصرياً في الولايات المتحدة أخذ بالاتساع والانتشار بعد الذي حدث في أيلول سبتمبر الماضي، وبات من الواضح أن التغذية التربوية لهذا التيار لا تعلم التسامح ولا المحبة بل تعلم التفرقة العنصرية والدينية، فهو ضد الزنوج أولاً بسبب اللون والعرق، وهو ضد المسلمين بسبب الدين، وهو ضد المسيحية الأرثوذكسية بسبب هذا المذهب.

غير أن الولايات المتحدة اليوم هي أكثر تقرباً من هذا التيار لأنه يغذي طموحاتها ويقاتل من أجل استعلائها واستفرادها بالقوة والهيمنة، فهي تريد لهذا النموذج أن ينمو وتتصاعد أصواته ليصبح الوحيد الذي يحكم التصورات الأمريكية تجاه الآخرين من الشعوب خاصة الشعب العربي والشعوب الإسلامية.

وإضافة لهذا التذكر فإننا نفتح أمام الأمريكان ملفات التربية الصهيونية الدينية وغير الدينية، فمن يصدق أن التربية الصهيونية تعلم الصبيان والفتيان التسامح والمحبة والمساواة؟

وكم مرة خرجت البرامج التلفزيونية تصور أطفال الصهاينة وفتيانهم وهم ينشدون الأناشيد العنصرية المقززة، وخاصة عندما يقومون برحلات ترفيهية أو تعليمية بالحافلات.

ولعل أمريكا تعلم حق العلم أن في كل مؤسسة تعليمية صهيونية حاخام يلقن الطلبة نصوصاً منتقاة من التوراة والتلمود تحث الطلاب على كره العرب والحقد عليهم، وتدسّ في أفكارهم القتل والطرد والتعذيب لمن خالفهم أو عاداهم، فهل فكرت الإدارة الأمريكية بتشكيل طاقم من الباحثين التربويين يعلمون الصهاينة التسامح والمحبة والابتعاد عن الحس العنصري؟

أم أن سلّم القيم حسب الوجهة الأمريكية يقلب المفاهيم رأساً على عقب ليصبح الشر خيراً، والعنصرية مساواة، والحقد محبة، والتسامح حقداً؟

أم أن الصهاينة معفيون من كل الموازين الأمريكية والمقاييس الغربية؟

لكن السؤال الذي يطرح نفسه مرة أخرى هو لماذا تفكر الإدارة الأمريكية بوضع مناهج تربوية تعلم المسلمين التسامح والصفح والمحبة؟

بينما لا تفكر بوضع مناهج تربوية تعلم العنصريين البيض في أمريكا والعنصريين الصهاينة في الكيان الصهيوني والتجمعات اليهودية في العالم؟

نعتقد أن الحقد الأمريكي على الإسلام هو الذي يدفعهم لمثل هذه التصورات، ونحن ندرك كعرب ومسلمين أن السياسة الأمريكية لن تعمل لصالح العرب والمسلمين على حساب الصهاينة، وأن التفكير الأمريكي لن يعمل لصالح الإسلام والمسلمين، إنما يريد تدميرهم من خلال سلبهم هويتهم الحضارية الإنسانية، ومن خلال فصلهم نفسياً وروحياً عن قرآنهم وسيرة نبيهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن تراثهم وتاريخهم الإسلامي المجيد.

ونعتقد أن الأمة على الرغم من كل مظاهر ضعفها وتكاسلها إلا أنها ليست بحاجة لمن يعلمها ما هو الإسلام وسماحة الإسلام، فالقرآن ما يزال في قلوب أبناء الأمة وعقولهم كما هو موجود في بيوتهم، وملايين الدروس ما تزال تتفتق كلما رجع أبناء الأمة إلى تراثهم وسيرة عظمائهم.

واستكمالاً لتذكير أمريكا والغرب عموماً فإننا نورد هنا بعض ما جاء في بروتوكولات دهاة صهيون ليعرفوا أن العولمة التي تدفعهم للتفكير بوضع مناهج تربوية تعلم المسلمين دينهم هي نفسها التي وضعت الأسس التربوية التدميرية التي يقصد من ورائها تدمير كافة الشعوب والأمم.

جاء في البروتوكول السادس عشر ما نصه:

رغبة في تدمير أي نوع من المشروعات الجمعية غير مشروعنا سنبيد العمل الجمعي في مرحلته التمهيدية، أي: أننا سنغيّر الجامعات ونعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة، وسيكون رؤساء الجامعات وأساتذتها معدين إعداداً خاصاً، وسيلته برنامج عمل سري متقن سيُهذبون ويُشكلون بحسبه، ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب، وسيُرشّحون بعناية بالغة، ويكونون معتمدين كل الاعتماد على الحكومة Government وسنحذف من فهرسنا syllabus كل تعاليم القانون المدني مثله في ذلك مثل أي موضوع سياسي آخر، ولن يختار لتعلم هذه العلوم إلا رجال قليل من بين المدربين لمواهبهم الممتازة، ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتياناً خضر الشباب ذوي أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة كأنما هذه الإصلاحات مهازل Comedies أو مآس Tragedeis ولن يسمح للجامعات أيضاً أن تخرج فتياناً ذوي اهتمام من أنفسهم بالمسائل السياسية التي لا يستطيع ولو آباؤهم أن يفهموها.

إن المعرفة الخاطئة للسياسة بين أكداس الناس هي منبع الأفكار الطوباوية، وهي التي تجعلهم رعايا فاسدين، وهذا ما تستطيعون أن تروه بأنفسكم في النظام التربوي للأمميين (غير اليهود) وعلينا أن نقدم كل هذه المبادئ في نظامهم التربوي، كي نتمكن من تحطيم بنيانهم الاجتماعي بنجاح كما قد فعلنا، وحين نستحوذ على السلطة سنبعد من برامج التربية كل المواد التي يمكن أن تمسح Upset عقول الشباب، وسنصنع منهم أطفالاً طيّعين يحبون حاكمهم، ويتبينون في شخصه الدعامة الرئيسية للسلام والمصلحة العامة، وسنتقدم بدراسة مشكلات المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات (التراث) وبدراسة التاريخ القديم الذي يشتمل على (أمثلة) سيئة أكثر من اشتماله على أمثلة حسنة، وسنطمس في ذاكرة الإنسان العصور الماضية التي قد

تكون شؤماً علينا، ولا نترك إلا الحقائق التي ستظهر أخطاء الحكومات في ألوان قاتمة فاضحة، وتكون في مقدمة برنامجنا التربوي الموضوعات التي تُعنى بمشكلات الحياة العملية والتنظيم الاجتماعي، وتصرفات كل إنسان مع غيره، وإننا بالتربية النظامية سنراقب ما قد بقي من ذلك الاستقلال الفكري الذي نستغله استغلالاً تاماً لغايتنا الخاصة منذ زمان مضى[1].

سابعاً: العولمة إنجاز الحكومة الماسونية العالمية:

ربما نقع مرة بعد الأخرى في مطب الحديث عن الماسونية العالمية ونُتهم بأننا نتحدث عن مجهول نزيّن بخيالنا أعماله وأخطاره ورموزه وعلاقاته بالصهيونية العالمية ومفرزاتها المشبوهة.

هذه المرة ربما ترتسم علامة الاستغراب على الكثيرين لأن الموضوع ليس عن الماسونية فحسب إنما عن تقاطعات تصل حد التطابق بين أسس العولمة وأسس الحكومة الماسونية العالمية.

فمن أين نخترع هذه العناوين؟ ومن أين نأتي بهذه التطابقات؟ هل من إحساس داخلي كاره؟ أم من موقف معاد لكل من له علاقة بالمفرزات الرأسمالية الصهيونية ولكل ما تطرحه الإمبريالية الاقتصادية؟

نعتقد بداية أن هناك اتفاقاً عاماً على أن الحركة الصهيونية ومفرزاتها لها من النفوذ المالي والاقتصادي ما يجعلها دوماً حركة ضاغطة في كثير من أقطار الدنيا، وحينما نطرح موقف الصهيونية العالمية من العولمة نكتشف وباختصار شديد أن العولمة تعني تسيّد القوة الصهيونية وهيمنة مالها واقتصادها وأساليبها الخطرة في العلاقات مع الأمم والشعوب.

فالعولمة تعني بالمحصلة سيادة الأقوى عالمياً، وتعني ذوبان الدولة الوطنية والقومية في إطار أوسع يكون الحاكم فيه رأس المال ومفكرو الرأسمالية العالمية.

---

(1) بروتوكولات صهيون ـ محمد خليفة التونسي ص 184 الطبعة الرابعة ـ دار الكتاب العربي بيروت دون تاريخ.

والحكومية العالمية الماسونية وضعت منذ الأساس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره الصهاينة لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى، ويرافق ذلك إحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام كي لا يستريح العالم أبداً فيضطر إلى الاستعانة بالصهيونية.

فحين تطرح العولمة إذابة الدولة الوطنية والقومية فإن ذلك يتطابق مع سعي الماسونية الصهيونية لهدم الحكومات في كل الأقطار والاستعاضة عنها بحكومة استبدادية يهودية.

وتطرح العولمة مقولة الرأسمالية الشمولية التي تتحكم بالعالم غير آبهة بالاقتصاديات المحلية للشعوب، وهذا ما نراه واضحاً في الطرح الماسوني الصهيوني حين يقول: يجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة ليكون لرأس المال مجال حر، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلاً يدٌ خفية في جميع أنحاء العالم، ومثل هذه الحرية ستمنح التجار قوة سياسية، وقد جاء في البروتوكول السادس: سنبدأ سريعاً بتنظيم احتكارات عظيمة وهي صهاريج للثروة الضخمة لتستغرق خلالها دائماً الثروات الواسعة للأممين (غير اليهود) إلى حد أنها ستهبط جميعها وتهبط معها الثقة بحكومتها يوم تقع الأزمة السياسية.

وحين يطرح منظرو العولمة آليات الهيمنة الاقتصادية فإن أهم هذه الآليات تحكم الأدمغة الاقتصادية في اتجاهات الاقتصاد العالمي، وتطرح الماسونية الصهيونية المسألة في نفس الإطار، ويوردون في البروتوكول الثامن: إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين، وهذا هو السبب في أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسي الذي يعلمه اليهود، وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك، وأصحاب الصناعات، وأصحاب الملايين، إن الواقع أن كل شيء سوف يقرره المال.

أما في المجال النظري التوجيهي فلا يكاد يخفى علينا ما تقوله العولمة من أن العالم في إطار العولمة يصبح قرية صغيرة، يذوب فيها الأفراد، وتذوب فيها قيم ومثل وتراث وتاريخ، وتطرح الماسونية العالمية فهما خاصاً للشعارات المعبرة عن القيم والمثل، فالحرية السياسية ليست حقيقة بل فكرة ويجب أن يعرف الإنسان كيف

يسخر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية فيتخذها طعماً لجذب العامة إلى صفه إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له.

ثم تقول: إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء، والحاكم المقيّد بالأخلاق ليس بسياسي بارع.

أما مفهوم الماسونية للحق فإنه يرتبط بالقوة، وكلمة الحق فكرة مجردة قائمة على غير أساس، فهي كلمة لا تدل على أكثر من (أعطني ما أريد لتمكنني من أن أبرهن لك بهذا على أني أقوى منك).

إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد.

وإذا كانت العولمة تسعى لتجعل الحكومات الوطنية والقومية مهمشة خاضعة لنفوذ قوى كبرى فإن الماسونية العالمية قد خططت من قبل لذلك، فهي تقول: إن مبادئنا في مثل قوة وسائلنا التي نعدها لتنفيذها، وسوف ننتصر ونستعبد الحكومات جميعاً تحت حكومتنا العليا لا بهذه الوسائل فحسب بل بصرامة عقائدنا أيضاً.

وعندما نبحث في مخاطر العولمة على الهوية الثقافية فإننا نرى أن العولمة هي مزيد من تبعية الأطراف للمركز، وتجميع قوى المركز، وتفتيت لقوى الأطراف.

وقد جاء في البروتوكول الثالث: أستطيع اليوم أن أؤكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا، ولم تبق إلاّ مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية شعار شعبنا ـ دورتها ـ وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوروبا محصورة فيها بأغلاق لا تكسر.

وجاء في البروتوكول الخامس: بكل هذه الوسائل سنضغط على المسيحيين حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دولياً، وعندما نصل إلى هذا المقام سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم في جميع أنحاء العالم، وأن نشكل حكومة عالمية عليا.

وطبيعة العولمة تنتج تعميم قيم الاستهلاك والمتعة بالحياة ولا تنظر الأمم إلى مشاريع قومية وخطط استراتيجية بعيدة المدى فذلك من اختصاص المركز، وما على

الأطراف إلا ركوب القطار الذي يحدد المركز اتجاهه وسرعته ونوع حمولته وقائده ووقوده ومحطاته التي يتوقف فيها، أو التي يتجاوزها، فإذا ما اتسعت المسافة بين الأغنياء والفقراء انتشرت الجرائم المنظمة والحماية الشخصية واسترداد الحقوق أو نهبها باليد، وتطبيق الشريعة بالعنف والإكراه والإجبار ما دام العنف أصبح وسيلة لتحقيق المطالب.

ويزداد الغلاء والترف، وتضيع القيم العامة، وينتهي ما يربط الناس، ويزداد التفكك الأسري والتشرذم الاجتماعي.

بينما تقول الماسونية: إن صيحتنا الحرية والمواساة والإخاء قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة بينما كانت هذه الكلمات مثل الديدان تلتهم سعادة الآخرين، وتحطم سلامهم واستقرارهم ووحدتهم مدمرة لذلك أسس الدول.

وتقول كما جاء في البروتوكول الأول: إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيسي من قوة العدالة فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب، بل من أجل الواجب والنصر أيضاً، ويقول: نحن نحكم الناس باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسيلتنا التي نكتسح بها كل من يصدوننا عن سبيلنا، إن البغضاء التي ستصير أشر مضاء حيث تكون الأزمات الاقتصادية مستحكمة لأنها ستوقف الأسواق والإنتاج، وسنخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في قبضتنا، إن كلمة الحرية تزج بالمجتمع في نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله، وذلك هو السبب في أنه يجب علينا حين نستحوذ على السلطة، أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذي يمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء، ولكن يجب أن نركز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع، وقد يستبعد بعض القارئين لتطور المجتمعات الإنسانية الصلة بين العولمة والتخطيط الصهيوني الماسوني العالمي، لأن العولمة باعتقادهم جاءت نتيجة طبيعية لتطور وسائل الاتصال والتقنيات العالية في تقارب الشعوب، ولكنهم يرون ذلك من خلال اتجاه

واحد، أما الاتجاه الآخر للعولمة فهو الاتجاه الذي تبنيه الصهيونية العالمية ليسير باتجاه آخر يحقق فقط مصالح محددة للرأسمالية الصهيونية والهيمنة على العالم، وعلى الرغم من الفهم المختلف للعولمة بين المدافعين عنها، وبين من خططوا لها، إلا أن مراجعة دقيقة واعية لمسيرة الحركة الصهيونية الماسونية العالمية تعيدنا إلى التيقن من أن العولمة في أهدافها لا تفترق عن الماسونية العالمية في أهدافها وآلياتها.

ماذا تريد الصهيونية الماسونية العالمية؟

وماذا تريد العولمة؟

يجب أن يكون شعارنا (كل وسائل العنف والخديعة) هكذا ترى نظرية الصهيونية الماسونية آلية العمل تجاه العالم، ويعترف البروتوكول الأول بأن الصهيونية عملت في السابق على نشر كل أساليب الفساد في المجتمعات الغربية وغيرها، لقد انقلب شبان المجتمعات إلى المجون المبكر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلّمونا وخدمنا وقهرماناتنا (مربيات البيوت) في البيوتات الغنية، وكتبتُنا ومن إليهم ونساؤنا في أماكن لهوهم، وإليهن أضيف من يسمين نساء المجتمع والراغبات من زملائهن في الفساد والترف.

ويستنتج الدكتور حسن حنفي أن مخاطر العولمة تتجلى في ازدياد الغلاء والترف، وازدهار الجنس كمتعة رخيصة لمن يملك المال، ولمن يبيع الرقيق الأبيض، وتضييع القيم العامة.

والواقع أن الصهيونية الماسونية سعت منذ أمد بعيد وتسعى لكي تجعل المركز العولمي قوة المال الصهيونية بحيث يلجأ جميع أفراد الشعوب إلى هذا المركز، بينما تنفذ بعض الأدوات الغربية مطامح هذا المركز تحت شعارات النظام العالمي الجديد، والعالم قرية واحدة، وثورة المعلومات، وهناك حيثُ تنشر أساطير الثقافة العالمية والوعي الكوني، والكوكبة، والعولمة، ويتوحد العالم كله تحت سيطرة المركز.

إن أهم ما تسعى إليه الصهيونية الماسونية: هو خلق الصراع والمضاربة في عالم الأعمال، وهما اللذان سيخلقان مجتمعاً أنانياً غليظ القلب منحل الأخلاق، هذا

المجتمع سيصير منحلاً كل الانحلال، ومبغضاً أيضاً من الدين والسياسة، وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد، وسيدافع هذا المجتمع من أجل الذهب متخذاً اللذّات المادية مذهباً أصيلاً.

ثامناً: العولمة والدفع للانتحار البشري

الطوائف الخلاصية والحلم بنهاية العالم:

وبعيداً عن الصراعات السياسية والإقليمية، وبعيداً عن انعكاسات المواقف المنحازة لصالح الشر والباطل، وعلى هامش مخيف مرعب تخرج في العالم الجديد حركات وطوائف تدعو لاستعمال دمار العالم باعتباره الخلاص من مآسي الإنسانية والشر الذي نشره دعاة العولمة والتفرد وسيادة العرق الواحد على أعراق بني البشر.

وعلى الرغم من هول الدمار الذي حدث في أوكلاهوما ونيويورك، وعلى الرغم من كثرة القتلى والمفقودين راحت تنتشر أو تتسرب مقولات تشير إلى سعادة حلت على عقول أعضاء تلك الحركات والطوائف مستبشرة باقتراب نهاية العالم والخلاص البشري.

بالطبع فإن السعادة التي تغمر هؤلاء حين يرون بني البشرية يُقتلون بالآلاف في نيويورك أو طوكيو أو في أي مكان آخر في العالم ليس إلا سعادة ساديّة منحرفة لا يقبلها ذوق إنساني ولا إحساس بشري.

وبغض النظر عن موقف كل منا مما حدث فإن المسألة لا تتوقف عند حدود، فهي أكبر بكثير وأعمق لأنها ليست موقفاً انفعالياً عاطفياً، إنما هي موقف فلسفي له أفكاره ومعتقداته وطقوسه، وطبيعي أن تشهد الإنسانية بعض الأفكار والفلسفات التي تراها منحرفة شاذة خاصة عندما نقرأ غايتها الكبرى رؤية البشرية تنهار وتُدمر وتفني الكرة الأرضية بمن فيها.

ما هي الطوائف الخلاصية؟

لا شك أن الكثيرين منا سمعوا ببعض الحركات التي ظهرت في أمريكا بشكل خاص، والعالم بشكل عام، ولا شك أن بعضنا قرأ عنها وتلبسه الاندهاش

والعجب، ولكننا أو لنقل لكنّ بعضنا قرأ ونسي أي: كما ينسى أي منا أحداث العالم المتسارعة.

فظاهرة الحركات الخلاصية ليست ظاهرة عادية لأنها شكلت في أفكارها وأفعالها مساراً آخر للكون والإنسان يرى في النهاية أن العالم يجب أن ينتهي، وأن الحياة على الأرض ليست مبررة، لقد وصل الإنسان إلى التخمة فلا حاجة للبقاء أو للحياة.

في اليابان ظهرت حركة (الحقيقة المطلقة) كنموذج للحركات الخلاصية في الطرف الآسيوي من العالم، وفي أمريكا برزت حركة بوابة السماء، والطائفة الداودية كنموذجين لمئات الطوائف والحركات الغربية في الولايات المتحدة، وفي أكثر بلاد الدنيا كانت تظهر بعض الحركات وتنطفئ لكنها تبذر بذورها التي تنمو بعد وقت قصير أو طويل من الزمن.

وفي عام (1995) وفي شهر آذار تحديداً سُرب غاز قاتل في مترو طوكيو، فقُتل الكثيرون خنقاً وتسمماً، وبعد أن حوصر الخطر قبل انتشاره على مساحة واسعة ألقت أجهزة الأمن اليابانية القبض على العديد من أعضاء طائفة (الحقيقة المطلقة "أومو") واكتشفت الشرطة اليابانية كمية من الغاز المخزن يكفي لقتل ما بين أربعة وعشرة ملايين إنسان.

وفي شهر نيسان من عام (1995) وقع انفجار هائل في أكبر المباني الفدرالية الأمريكية في أوكلاهوما فقتل العشرات، وجرح المئات وشوّه الكثيرين، وراحت التحقيقات تتكهن وتتهم إلى أن تم القبض على الشخص الذي كان وراء الانفجار مباشرة وتبين أنه أمريكي ينتمي إلى الطائفة الداودية الأمريكية.

في ذات الوقت كانت تتجه أصابع الاتهام لأتباع الطائفة الداودية المتكاثرين في مدينة واكو في ولاية تكساس، هذه الطائفة التي أسسها أحد أساتذة الجامعات، استمدت أفكارها من شروحات توراتية، وادعى صاحبها أنه مسيح آخر الزمان، وضمت الطائفة أعضاء ينتمون لعدة أجناس، وأنشأت معبداً خاصاً بها في ضواحي نيويورك، وقالت سلطات أمريكية: إنها هاجمت المعبد الذي أغلقت أبوابه بإحكام

ثم تسرب غاز من نوافذه، وأخيراً دخل رجال الأمن المبنى فوجدوا أكثر من مائة جثة ملقاة وهي منتحرة حرقاً.

لكن المصادر قالت: إن عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي قتلوا زعيم هذه الطائفة وعدداً كبيراً من أنصاره وذلك عام (1993) وتبين أن للحركة أتباعاً في كافة أنحاء الولايات المتحدة، ومن أهم أفكارها أنه يجب أن يدمر العالم لينتقل الصالحون إلى عالم آخر أفضل من عالمنا.

وكذا حركة بوابة السماء التي ادعت صلتها بمذنب هالي، وقالت: إن سفينة فضاء كونية تنتظر لتقل أتباع الحركة إلى عالم آخر أفضل من هذا العالم، وعندما ضيقت قوات الأمن الأمريكية الخناق على الحركة انتحر جميع أفرادها البالغ عددهم أربعمائة رجل وامرأة، ومعهم زعيم الحركة الذي ادعى بعض النبوءات، وراح ينشر أفكاره الغريبة بين الناس على شتى أصولهم العرقية.

المهم في هذا كله أن هذه الحركات الخلاصية رأت في المجتمع الذي تعيش فيه مجتمعاً منحرفاً مدمراً بفرديته ورأسماليته، ولذلك افترضت وجود عالم أجمل وأنقى، ورأت أن خلاص العالم من انحرافيته لا يتم إلا من خلال تدميره.

هرمجدون وحتمية الدمار النووي

إن ما ذكرناه عن الحركات والطوائف الخلاصية لا يكفي في أغلب الأحيان لإقناع أبناء البشرية بأن هذه الحركات يمكن أن تسعى لتدمير العالم، أو إنها قادرة على تدميره، ولذلك لا بد من الإشارة هنا إلى أن فكرة التدمير الكوني لم تقتصر على هذه الحركات، والناظر في العقلية الأمريكية وتوجهات القوى الدينة فيها يرى أن القوى الكبرى التي تسيّر تلك العقلية تتمثل في الصهيونية غير اليهودية، فهي التي تهيمن على الفكر الأمريكي وسياسة الدولة، وتمثلها منظمات بروتستانتية كبرى على رأسها منظمة الأكثرية الأخلاقية الأمريكية التي يتزعمها جيري فولويل، وترى هذه المنظمة التي يصل عدد أفرادها إلى الملايين ـ أن الله قضى علينا أن نخوض غمار حرب نووية (هرمجدون).

ويقول فولويل: أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس الإله المسيح على عرش داود في القدس، إن هذا اليوم مقبل، وستكون أنا وأنت جزءاً منه.

وتأكيداً على ما تقوله الصهيونية المسيحية قال الرئيس ريغن عام (1980): إن (إسرائيل) هي الديموقراطية الوحيدة الثابتة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هرمجدون، وإذا كانت الصهيونية الإنجيلية تؤيد سياسة رؤساء الولايات المتحدة المتعصبين مثال ريغن، وكارتر، وكلينتون فإن منظمات وحركات أخرى تقف على طرف نقيض واضح معهم.

فالحركة الداودية التي أشرنا إليها تؤمن بقرب مجيء المسيح الثاني، وترى أننا على أبواب يوم القيامة، وأن حرب هرمجدون (الحرب الدينية الأخيرة) ستكون بشارة مجيء المسيح إلى الأرض لرفع الظلم عن البشر، ونشر السلام على الأرض كلها.

وأهم ما تتبناه هذه الجماعة من أفكار أنها تعيش في دولة كافرة (الولايات المتحدة) وأن النظام السياسي الأمريكي فاسد بعدما ابتعد عن تعاليم الله، الأمر الذي أدى إلى اصطدامها بأجهزة الأمن الأمريكية، حيث هاجمت قوة من ال ـ f B I المباحث الفدرالية هذه الجماعة وألقت القبض على كثيرين منهم بتهمة حيازة السلاح، وقد أشرنا إلى أن أجهزة الأمن الأمريكية قامت بهجوم بالغاز المسيل للدموع على الجماعة، لكن الغاز انفجر واشتعل حريق هائل مات فيه زعيم الجماعة ديفيد فريش ومعه (75) من أتباعه، ومعهم (21) طفلاً، والأمر اللافت للنظر أن الناجين من المذبحة الكبرى رأوا أنه يجب الرد على الحكومة الأمريكية، فقام المدعو ثيموثي ماكفاي بتفجير مبنى أوكلاهوما، وأسفر عن مصرع المئات من الأشخاص، وقد تم القبض على ثيموثي وصدر حكم عليه بالإعدام بالسم، ونفذ في عام (2001).

على أي حال فإن الإرهاب الذي تجيّش أمريكا وحلفاؤها الجيوشَ للقضاء عليه ليس سوى ردة فعل لطبيعة السياسة الأمريكية وفكرها، وبعيداً عن الشرق الأوسط الذي وُجهت تهمة الإرهاب له مباشرة بعد الذي حدث في نيويورك

وواشنطن، فإن الحركات والمنظمات المتطرفة في أمريكا تهدد هذه القوة الكبرى من داخلها، وانفجار أوكلاهوما لا يقل فداحة عما حدث في الحادي عشر من أيلول، ففي البداية راحت الأصوات الأمريكية توجه الاتهام لجماعات شرق أوسطية، ثم ألقي القبض على الفاعل وهو أمريكي ينتمي للجماعة الداودية الأمريكية وليس إلى الشرق أوسطية.

إن الخطر الإرهابي الأمريكي الداخلي نتيجة حتمية لسياسة العولمة، وهو الخطر الذي يهدد أمريكا وليس أي خطر آخر، وعندما حدث انفجار أوكلاهوما راحت أصوات أمريكية وغربية تنذر بخطر استخدام السلاح النووي من قبل بعض الجماعات.

وقد قدم جاك أتالي مستشار الرئيس الفرنسي السابق ميتران تقريراً قال فيه: إن سيارة مفخخة بنصف طن من المتفجرات العادية تستطيع تفجير نصف كيلو غرام من المواد النووية وتحويلها إلى قنبلة نووية صغيرة، أو مصدر إشعاعات قاتلة، والذي يستطيع الحصول على المواد المشعة لن يكون من خارج الولايات المتحدة، فالمنظمات الإرهابية الأمريكية هي الأكثر قدرة على امتلاك مثل هذا السلاح، وهذا ما أشار له أكثر من مفكر وباحث استيراتيجي أمريكي، وقد أشار الكثيرون منهم إلى أن هذه المنظمات الخلاصية ليست سوى ردة فعل على سياسة العولمة الرأسمالية الأمريكية.

العولمة...والشعوب...لماذا المواجهة؟

من خلال ما يجري من مواجهة للعولمة، نرى أن الذين أحسوا بخطرها هم من الشعوب الأوروبية أو الغربية بشكل عام، فعلى الرغم من أن الشعوب الفقيرة في أفريقيا وآسيا وعلى الرغم من أن الشعب العربي بشكل عام جميعها مهددة تهديداً حقيقياً بسبب طروحات العولمة المتعلقة بالهوية والدولة الوطنية والقومية إلا أن الذين واجهوا العولمة هم من الشعوب الأوروبية أو الغربية.

وإذا تساءلنا لماذا اقتصرت الاحتجاجات والمظاهرات على شعوب غير عربية وأفريقية وآسيوية؟

الواقع أن الشعوب التي تظاهرت واحتجت على العولمة هي على تماس مباشر بالمؤثرات التي صنعتها العولمة، ويبدو أن الشعوب العربية والأفريقية والآسيوية ما

تزال تستوضح مفهوم العولمة، ويبدو أن هذا المفهوم ما يزال يلفه شيء من الغموض بالنسبة لهذه الشعوب، ولا شك أن عدم وضوح الرؤية لدى هذه الشعوب هو ما يجعلها مسترخية غير شاعرة بالخطر شعوراً مباشراً.

في أول مواجهة جرت بين الشعب وبين دعاة العولمة كانت في مدينة جنوه عندما عُقد مؤتمر للدول الصناعية وفرضت فيه أمريكا أفكاراً وتصورات رأسمالية مرعبة.

تصادم الشعب مع قوات الأمن وسُفكت الدماء وقتل أحد المتظاهرين، وكان ما حدث أول إشارة واعية لتصادم الشعوب مع دعاة العولمة.

لم يمض عام على ما حدث حتى اشتدت المواجهة وتمظهرت في سياتل حيث قام دعاة رفض العولمة بالتظاهر والاحتجاج، وحدث صدام آخر مع قوات الأمن التي كانت تحيط بمقر عقد المؤتمر الأوروبي الصناعي، وتبع ذلك سيل من المظاهرات في فرنسا وبعض الدول الاسكندنافية.

لم تكن المظاهرات والاحتجاجات فارغة من محتوى، لقد استشعرت الشعوب خطر العولمة خاصة من الناحية الصناعية، ورأى العمال وصغار الكسبة أنهم يُجرون إلى هذه العولمة جراً ليموت إحساسهم بإنسانيتهم، وليموت شعورهم بحريتهم الشخصية وكرامتهم البشرية، فالعولمة على النمط الرأسمالي الأمريكي تطحن آمال الملايين من البشر في تحسين أوضاعهم وتحقيق أقل مكتسباتهم، وبات من الواضح أن الرأسمالية العالمية لا تسعى إلا لاستعباد المال والإنسان والأرض والثروات، ولا يهمها أن تُسحق آمال الشعوب البسيطة في العيش بكرامة وعدم سلبها مقومات حياتها الأولية.

ولعل ما حدث في البيرو وهي دولة أمريكية لاتينية فقيرة يدلل أكثر فأكثر على فهم أوضح للعولمة الرأسمالية الأمريكية.

فقبل زيارة بوش الرئيس الأمريكي إلى هذا البلد عمت المظاهرات والصدامات وقد اعتبر الشعب في هذا البلد أن الرئيس الأمريكي يمثل رأس العولمة الرأسمالية التي

جعلت البيرو وغيرها من البلدان تعيش حالة فقر مقذع جراء مليارات الدولارات من الديون والعجز في الإنفاق وتحسين الظروف المعيشية.

ولعل ما حدث في الأرجنتين ليس بعيداً عن الاحتجاج على العولمة، فبدل أن تتحسن ظروف الملايين وتتخطى حالة الفقر ازداد إرهاق الديون على هذا البلد الكبير حتى بلغ أكثر من مائة وخمسين مليار دولار، وإلى الآن لا يوجد حل لهذه المشكلة المستعصية لأن الرأسمالية العالمية لا تريد أن تجد حلاً، ولأن العولمة قررت أن تمضي وهي تدوس بأقدامها الحديدية الثقيلة على كل الشعوب الفقيرة.

ولعل إحساس الشعوب بخطر العولمة المدمر هو إحساس مزدوج، فالعولمة ليست طريقة سليمة في تحقيق غاياتها إنما هي طريقة عسكرية دموية شاملة، فالولايات المتحدة تستخدم في سبيل هيمنة الرأسمالية وسائلها العسكرية التدميرية وليس في جعبتها سوى هذه الهيمنة العسكرية والقوة الفتاكة.

فعن طريق الرعب العسكري والتلويح بالقوة الأخطبوطية وتسويق مقولة إن أمريكا قادرة على فعل أي شيء وفي أي مكان، تنفذ أمريكا مشروع العولمة وهيمنته على كافة أرجاء الأرض، وحين ننظر بشكل دقيق إلى آلية العمل الأمريكية ندرك أن تسويق العولمة لا يتم إلاّ من خلال القوة العسكرية والتهديد والوعيد، وفرض القلق والرعب على الشعوب جميعها لا سيما الشعوب التي ما تزال قادرة على الرفض كونها تستند إلى انتماء لهوية حضارية ورسالة إنسانية، وتشعر أنها وإن عجزت اليوم عن المواجهة فإن المستقبل يبشرها بأنها قادرة على الدفاع عن هويتها وصونها، والحفاظ على أسس وجودها الثقافية والدينية والتاريخية.

وحين تحتج الشعوب على هذه العولمة فإنها في حقيقة الواقع تحتج على أنظمة الحكم في بلدانها لأن هذه الأنظمة تشترك بشكل أو بآخر في آلية تسويق العولمة وتطبيقها.

ومآل ذلك إلى أن النظام الرأسمالي لا تمثله فقط أمريكا أو بريطانيا إنما يمثله العالم الصناعي برمته حيث يصبح المال وسيلة وهدفاً، ويصبح الإنسان آلة إنتاج ليس أكثر، ولعل من أغرب ما يحدث أن نرى الاحتجاج الشعبي العالمي على العولمة يواجه

بالقمع ليس في أمريكا فحسب إنما في بلدان أخرى انخرطت بالمخطط العولمي الرأسمالي الأمريكي وكادت أن تذوب فيه.

وإلا ماذا يعني ما حدث في جنوه وسياتل وباريس وبعض عواصم الدول الاسكندنافية؟

ألم تكن المواجهات بين الجماهير المنكوبة بسبب العولمة وبين أنظمة الحكم في بلادها؟

إن المواجهة في أحد وجوهها احتجاج عملي على هذا الانسياق في ركب العولمة الأمريكية فبدل أن تكون كل دولة لها سياستها الاقتصادية الخاصة المتناسبة مع واقع جماهيرها باتت مرتهنة لسيادة القطب الواحد، وبمعنى آخر إنها تعني ذوبان الشخصية الوطنية والقومية وعدم الاكتراث بالهوية والخصوصية.

إن أزمة المواجهة بين الشعوب والرأسمالية العولمية لا تقف عند حدود فرز المجتمعات إلى غنية وفقيرة فحسب، إنما تتعداها لتصبح فرزاً بين حفنة من الرأسماليين العالميين يتحكمون باقتصاد العالم وثرواته وبين بقية الملايين من الشعوب، فالرأسمالية لا تعمل من أجل شعب على حساب شعب، فالجميع مستهدفون بالفقر والانصياع وراء المخطط الرأسمالي العولمي.

لقد كان معروفاً في بداية القرن العشرين أن نهب خيرات الشعوب من قبل الاستعمار التقليدي كان يصب في تحسين حياة شعوب الدول الاستعمارية ذاتها، وليس خافياً على أحد أن بريطانيا أو فرنسا أو غيرهما من الدول الاستعمارية في بداية القرن الماضي نهبت أفريقيا وآسيا ليعم الرخاء في شعوبها، ولذلك كان التطلع الاستعماري آنذاك يحظى بشكل عام بتأييد تلك الشعوب لحكوماتها في حركة استعمارها لأراضي الشعوب الأخرى، ولا تنسى تلك الشعوب مستوى دخل الفرد الذي كان يحصل كلما تمددت الحكومات الاستعمارية باتجاه أراضٍ جديدة في أفريقيا أو آسيا.

لكن الذي يحدث اليوم وفي أجواء هذه العولمة أن المسألة صارت أكثر تعقيداً وأكثر إشكالية، فالشعوب ما عادت تلك الشعوب التي تستفيد من توجهات

حكوماتها الاستعمارية الاقتصادية، فالمفاهيم تغيرت وقيمة الإنسان فيها ما عادت ذات وزن ومحل احترام، وعلى الكتل البشرية أن تنساق في طريق واحد، طريق الإنسان المنتج المستهلك كالآلة المنتجة تماماً، أمام فائض المال، ومليارات الدولارات فهي تصب لصالح الفئة الرأسمالية الأخطبوطية المستحكمة بالشركات العملاقة والرأسمال العالمي...

ولذلك كانت المواجهات في أغلبها قد حدثت بين الشعوب الأوروبية ذاتها وبين دعاة العولمة وحماتها من الرأسماليين والسياسيين المتحكمين في تلك الدول.

إلى أين ستصل المواجهة؟

لا شك أن ما حدث من مواجهات بين بعض الشعوب وأنظمتها الرأسمالية لم يصبح حالة شعبية عامة، ولكن يبشر بأن المستقبل لن يكون كما هو عليه اليوم، فالعولمة ستزيد من غلوائها، وستزيد من امتصاص روح الإنسان وجهده ودمه وعرقه، وقد تلجأ إلى أساليب دعائية واقتصادية مخدرة، قد ترفع دولة ما أجور عمالها لتُسكتهم ولكن المنهج الاستلابي الطبيعي لصانعي العولمة سيظل ساري التطبيق وهذا ما وعته الشعوب من خلال حركتها الفكرية والاجتماعية عبر مائة عام على الأقل، فالرأسمالية تطوّر نفسها وتطور أهدافها وأساليبها خاصة بعد أن فشلت الشيوعية الاشتراكية وتحطمت في الاتحاد السوفياتي السابق والدول الاشتراكية الأخرى.

وبالمقابل فإن جماهير الشعوب وخاصة في الدول الرأسمالية الكبرى ستخسر شيئاً فشيئاً الكثير من طموحاتها الاجتماعية والإنسانية، وهذا ما سيؤدي إلى تفاقم المواجهة واتساعها، وهذا ما سيؤدي بالتالي إلى الصدام الحقيقي بين رأس المال وقوة الجماهير المستلبة.

وإذا ما حاولت الرأسمالية العولمية تصدير أزمتها من جراء المواجهة إلى خارجها أي: إلى أجزاء جغرافية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لن تنجح كما نجحت جحافل الاستعمار التقليدي إبان بداية القرن العشرين.

فالتمديد الذي قد يحدث لن يكون بالمحصلة لصالح جماهير هذه الدول والمجتمعات بل سيبقى لصالح الفئة الرأسمالية المتحكمة بالاقتصاد العالمي، ومن جهة

أخرى فإن الظروف قبل مائة عام ليست مشابهة للظروف الحالية، فالشعوب كبرت وتنامت وكبر وعيها وتنامى شعورها بالهوية والخصوصية، وهذا ما يحتم تصادم الخصوصيات والهويات وتصادم المصالح.

ولعل ما يحمله المستقبل من إرهاصات يقول لنا: إن الرأسمالية العولمية لن تُواجه من قبل شعوب الدول الرأسمالية فحسب إنما ستجد أن تلك الشعوب ستلتقي مع شعوب العالم الفقير المستهدف بثرواته ومواقعه الحسّاسة الاستراتيجية.

وهذا ما يعيد إلى الذاكرة الشعارات الجماهيرية العالمية التي طرحت في القرن الماضي، فاليوم وفي الغد لن يقف الشعار عند مقولة يا عمال العالم اتحدوا، بل سيتعداه ليقول يا بني الإنسانية اتحدوا في وجه العولمة، ومن يدري فقد يحمل المستقبل القريب أو البعيد مفاجآت في غاية الخطورة، ومن يدري هل تكون المواجهة بين الشعوب والعولمة مواجهة كونية عارمة يكون فيها خلاص البشرية أو دمارها.

مؤتمر الألفية العالمي، هل يتخلى العقل العنصري عن فوقيته؟

بعد حلول ما يسمى الألفية الثانية عُقد في نيويورك ما يسمى مؤتمر الألفية العالمي وحضره العشرات من رؤساء الدول.

فهل تجاوز هذا المؤتمر حالة التصادم بين القوي المتجبر، وبين الضعيف المستلب، هل أفصحت الشعوب المقهورة عن أهدافها وغاياتها الوطنية والإنسانية، أم أن المؤتمر عكس تصورات زعماء العالم بعيداً عن شعوبهم وطموحاتها.

ماذا يعني حوار الحضارات في ظل اندحار وانهيار القيم الحضارية في معظم دول العالم؟

وهل تستجيب أمريكا لنداء التخلي عن الانحياز للباطل على حساب الحق؟

آلاف الأسئلة تطرح بعد أن رحل زعماء العالم وعادوا إلى بلادهم ومشاكلها المستعصية تاركين نيويورك لحالها وشأنها؟

مؤتمر الألفية الذي اعتبر أكبر اجتماع في التاريخ، حضره رؤساء وملوك ووزراء من شتى بقاع الدنيا.

تفاصح فيه كلٌ على قدر فصاحته، حتى أمراء دول هي أشبه بالقرى النائية على خارطة الكون تحدثوا عن السلام وحل المشاكل والتعاون الدولي، وما إلى ذلك من هذه المشاكل التي ما تزال تتفاقم يوماً بعد يوم وتستعصي على الحل.

ماذا عنى وماذا يعني هذا المؤتمر لنا كعرب ومسلمين؟ وهل تجاوز المؤتمر قضية فلسطين لأنها حُلت بالطريقة المناسبة الصّالحة للكيان الصهيوني والفلسطيني والعرب والمسلمين؟

هل انتهت الإبادات العنصرية للمسلمين في كشمير والفلبين وتايلاند وبورما والقوقاز.

أم أن لقاء زعماء العالم في الألفية أعطى الضوء الأخضر لمزيد من القمع العنصري والإبادة لأبناء الإسلام المنتشرين في أصقاع الأرض؟

الغربيون الأغنياء أو الشمال الصناعي كما يقولون.. يرى أن مشاكل الكون لا يمكن أن تُحل على حساب التقدم الغربي والغنى الشمالي، ويطرح هذا الشمال بعض التصورات لرفع المعانات الجزئية عن الشعوب الفقيرة بتقديم المساعدات المالية والغذائية والتعاون بالقدر الذي تسمح به الظروف السياسية والاجتماعية.

الجنوب الفقير كما يسمونه يشعر بالمرارة والألم والقهر لأنه يدرك أن الشمال الغربي هو الذي امتص خيرات الجنوب، وما زال على حاله من امتصاص لخامات الأرض واستغلال الثروات الجنوبية استغلالاً فاحشاً، وفي غمرة أيام المؤتمر يخرج الرئيس الأمريكي السابق كلينتون ليطلب من الدول النفطية تخفيض أسعار نفطها وزيادة إنتاجها، ويتناسى أن يطلب من الكيان الصهيوني الامتثال لقرارات الشرعية الدولية، على الرغم من أنها في أساسها مجحفة أو ظالمة بحق الشعب العربي الفلسطيني، يطلب أن ينساح النفط العربي إلى الماكينة الأمريكية بأقل الأثمان، ويطلب أن يتنازل الفلسطينيون عن القدس، وأن ينسوا حق عودة اللاجئين إلى ديارهم التي شردوا منها قبل أكثر من خمسين عاماً.

كان باراك رئيس وزراء الكيان الصهيوني في المؤتمر وخرج ليقول:

إن المشكلة المستعصية بين اليهود والفلسطينيين هي مشكلة جبل الهيكل، فلا قدس ولا مسجد أقصى، جبل الهيكل هو حق يهودي أقيم عليه المسجد الأقصى، ويأتي الفلسطينيون لينازعوا اليهود عليه، وفوق هذا وذاك يلتقي أمير قطر بباراك ويوقعان اتفاقات تجارية واسعة، ويصرح أمير قطر بأن العلاقات بين قطر والكيان الصهيوني ستقوى وتتطور، ولن يوقف تطورها أي طارئ أو حدث.

ولعل الأولويات التي يراها غالبية زعماء العالم هي بعيدة تماماً عن المشكلة الفلسطينية، فالجميع يتحدث عن أحداث سيراليون، والنزاعات الدموية في الكونغو الشعبية، وكوفي عنان يفترض أن المشكلة بين الكيان الصهيوني والفلسطيني هي أقرب للحل من أي وقت مضى، فأي حل هو ذاك الذي يتحدث عنه عنان؟

هل اتفق اليهود والفلسطينيون على إعادة اللاجئين إلى بلادهم دون قيد أو شرط؟

أم اتفقوا أن تكون القدس وتبقى عاصمة أبدية لليهود؟

أم اتفقوا أن يكون المسجد الأقصى وما يسمى حائط البراق بناء واحداً بإشراف اليهود وبعض رجال الدين المسلمين؟

وإذا رحنا بعيداً عن مشاكلنا الكبرى ـ نحن أبناء العروبة والإسلام ـ توضحت صورة مؤتمر الألفية أكثر فأكثر.

فالوفد الكوري الشمالي يتعرض لحملة تفتيش وهو في طريقه إلى نيويورك، تطال أعضاء الوفد جميعهم، تخلع ملابسهم وأحذيتهم وتفتش أجزاء من أجسامهم من العار والعيب أن يذكرها المرء على لسانه أو بقلمه.

وفي الجانب الآخر من الصورة تصرح المتحدثة باسم كوفي عنان أن الكثيرين ينظرون إلى هذا المؤتمر بسخرية لأن المؤتمرين لن ينفذوا شيئاً على الأرض، لكنها تستدرك قائلة إن كثيراً من الإيجابيات حصلت بسبب هذا المؤتمر وينتظر العالم المزيد.

والواقع أن المشكلات العالمية كثيرة ومستعصية، وسوى المشاكل السياسية هناك مشكلة مليار إنسان يعيشون تحت خط الفقر، ويتفاءل بعض رؤساء الدول الذين

حضروا المؤتمر وكذلك كوفي عنان عندما يرون أنه بحلول عام (2010) يجب أن يتمكن العالم من القضاء على الفقر.

فكيف يتم القضاء على الفقر العالمي؟

مليار فقير معدم في العالم، فكيف يتم تحسين أوضاعهم ورفع مستواهم إلى ما فوق الصفر في حياتهم المعيشية؟

كيف يتم القضاء على مرض الإيدز الذي يفتك بالملايين في أفريقيا وجنوب آسيا وحتى في الغرب المتقدم تكنولوجيا وطبيا.

الغرب في صورته الظاهرية يقدم نموذجا لما يسمى بالديموقراطية والحرية، وفي صورته الباطنية أو جوهره يقدم نموذجا قديما حديثا للعنصرية الفظة واكتساح قيم الإنسانية وتدميرها.

خبراء اجتماعيون يؤكدون أن دول العالم الغنية تشهد موجة متصاعدة من الاتجار بالبشر، ومعظمهم من النساء والفتيات اللاتي يجبرن على ممارسة البغاء، ولم تتمكن هذه الدول أو لم تبذل جهدها لوقف العصابات المسؤولة عن تجارة الرقيق الأبيض في العصر الحديث.

سان براوبناك عضو مجلس الشيوخ الجمهوري الأمريكي يرى: أنه عمل سيئ حقيقة وهو الجانب المظلم للعولمة الذي بدأ يتشكل مع زيادة سبل الاتصالات بين الدول وسهولة السفر.

أكثر من مليون شخص يتم تهريبهم في مختلف أرجاء العالم سنويا، ويرى الخبراء أن الرقم قد يكون ضعف الرقم المذكور، والطامة الكبرى أن هؤلاء أو أغلبهم يوجهون للدعارة، في حين يوجه آخرون للخدمة في البيوت والمصانع والحقول.

فالذين يحاولون إظهار محاربتهم لظاهرة تهريب الملايين من البشر واستخدامهم في المهن الشريرة يتناسون الدوافع وراء هذه الظاهرة المشينة، فأغلب الضحايا عادة من النساء اللواتي يرغبن في الهروب من الفقر في بلادهن فيقبلن عرضا خادعا للعمل في الخارج في رعاية الأطفال أو المطعم، ثم يجبرن على العمل في البغاء في بلد غريب لا يتحدثن لغته، وفي ظروف مزرية لدفع دين من آلاف

الدولارات مستحقة عليهن مقابل تهريبهن، والشيء المحزن أن هؤلاء النساء لا يعدْن إلى بلادهن إلا بعد إصابتهن بالإيدز، فأين مؤتمر الألفية من هذه الظاهرة المشينة، هل تستطيع الأمم المتحدة أن تقضي على الحد الأدنى من الفقر، هل تقدم الدول الغنية فائض حاجتها للدول الفقيرة حتى لا تلجأ موجات من النساء للهجرة الإجبارية وامتهان كرامتها وحياتها، أم أن الغرب اتخذ على عاتقه أن يدمر الإنسانية ويقضي على سكان أفريقيا كلهم، حتى تصبح أرضاً بلا شعب؟

الآن وبعد أن فتك الإيدز المصدر من أمريكا بآلاف البشر في أفريقيا وجنوب شرق آسيا تتحرك الأمم المتحدة، يتحرك المسؤولون الأمريكيون والغربيون لعقد مؤتمر يعالج المشكلة وإصدار بروتوكول يعتبر تهريب البشر جزءاً من معاهدة الأمم المتحدة ضد الجريمة الدولية.

ولو أن الاتجار بالبشر ظل محصوراً في مناطق أفريقية وآسيوية ولم يصل إلى أمريكا وأوربا لما تحرك المسؤولون في الدول الغنية، ولكن الخطر الداهم وصل إلى عواصم الغرب فتحركوا لينقذوا بلادهم من ازدياد المهاجرين السود والملونين الذين لا يرغب الغرب بوجودهم هناك.

إن الذين تسببوا في تفشي هذه الظواهر هم الذين منعوا القوت عن الفقراء، وهم الذين سلبوا خيرات الشعوب وسرقوها وتركوها عظماً بلا لحم كما يُقال، وإذا كان لا بد من إنقاذ ملايين البشر من الجوع والموت وامتهان الكرامة الإنسانية فما على الدول الغنية إلا أن تكفر عن أخطائها الكبرى بدفع كل الإمكانات الغذائية والمالية لاستعادة الفقراء لحياتهم وكرامتهم، وما ذاك إلا جزء من رد الأموال لأصحابها الذين ظلوا عشرات السنين عبيداً مسخرين، وظلت أراضيهم محل نهب شرس من قبل تجار الموت المنتشرين في العالم الغربي، والذين يمتلكون أفتك الأسلحة الدعائية والنفسية والسياسية.

وبعد كل هذا وذاك هل يستطيع مؤتمر الألفية فعلاً حل المشاكل الإنسانية المستعصية حتى يخطو خطوة صحيحة نحو حوار الحضارات؟

لا نعتقد ذلك إلا في حالة واحدة، وهي أن يتنازل الغرب عن فوقيته وعنصريته وأن يعود إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

أمريكا بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر. تغيّر أم تطور؟

حينما نتحدث عن صدام أو حوار يجري بين الشعوب لا بد أن تستوقفنا محطات قد تبدو بعيدة عن طبيعة البحث، لكن ما يجري في العالم لا يجري في كوكب آخر، وقد باتت كافة الظواهر السياسية والفكرية والاجتماعية مترابطة يؤثر بعضها ببعضها الآخر.

فما حدث في أمريكا يوم الحادي عشر من أيلول عام (2001) ليس حدثاً منفصلاً عما يطرح من أفكار وبحوث في صدام الحضارات أو حوارها.

والواقع أن فوكوياما أو هنتنغتون لم يطرحا مفهوم صدام الحضارات إلا بعد الذي حدث في أمريكا، واعتبرا أن ما حدث هو جزء من ذلك الصدام المستقبلي بين الحضارات والشعوب.

فحين حلّل فوكوياما علاقة العالم الإسلامي بالغرب: ذكر أن المشكلة بينهما ليست محصورة في مجموعة من الإرهابيين بل هي تتسع لتشمل عامة الراديكاليين الإسلاميين الذين وصفهم بالأصوليين الذين يرفضون الحداثة والعلمانية.

أما هنتنغتون فقد قال في تحليله لأحداث (11) أيلول: إنها تظهر الفجوة وعمقها بين الحضارتين الغربية والإسلامية، وقد بشر بالعديد من الحروب الدموية التي ستنشب على حدود المسلمين.

والواقع أن كثيراً منا يتساءل هل أمريكا هي نفسها قبل وبعد الحادي عشر من أيلول؟

والواقع أن مسألة التغير الأمريكي تتعلق وترتبط بعدة جوانب منها الجوانب الفكرية، ومنها جانب المواقف من قضايا العالم وخاصة القضية الفلسطينية، ومنها ما يرتبط بفلسفتها الاستعمارية المنطلقة من قناعتها بسيادة القطب الواحد على العالم.

في الجانب الفكري فإن الولايات المتحدة كانت وما زالت قبل وبعد أحداث أيلول تنطلق من مواقف فكرية ثابتة تجاه العالم عامة، وتجاه العرب والمسلمين خاصة.

فعبر عقود كثيرة ظلت أمريكا الراعية الأولى للكيان الصهيوني تمده بمقومات الحياة بدءاً من أصغر حاجة بشرية إلى أكبر تقنية عسكرية، وظلت مهيمنة على البترول العربي في الخليج بشكل عسكري واضح من خلال قواعدها العسكرية وتواجد أساطيلها في الخليج، وعلى الرغم من الوضوح التام في انحيازها إلى جانب الكيان الصهيوني كانت تدرك أن العرب وخاصة ما يسمى بالمعتدلين غير قادرين على فعل شيء، بل بالعكس فإنها تسعى دوماً لفتح الباب لهم لإقامة علاقات مع الكيان وتحقيق مطامعه وتسيّده على المنطقة.

ومن الواضح أيضاً أن أمريكا تدرك أن الجماهير العربية مستلبة مخدرة مستهلكة، وأن الإسلام على شكله التقليدي مريح لها، ما لم تصح الجماهير وتدرك أن الإسلام عقيدة لها شخصيتها وآفاتها ومكانتها الواقعية العالية في الأرض.

وقد عملت أمريكا على استغلال مظاهر الصحوة فوجهت الأنظار والإرادات نحو ما يسمى الخطر الشيوعي في أفغانستان، وعملت هي وكثير من الدول العربية على امتصاص نقمة الشعوب الإسلامية فدفعت الآلاف من أبناء الأمة نحو أفغانستان لمحاربة التواجد الشيوعي السوفياتي، وظلت وسائل إعلامها تمدح صورة هؤلاء العرب والمسلمين الذين يقاتلون هذه الشيوعية، كل هذا يحدث بينما تمد الكيان الصهيوني بكل ما تملك، وقد استطاعت أن تحوّل معظم الدول العربية ووجهتها عن فلسطين نحو منطقة أخرى بعيدة كل البعد عن جوهر الصراع الحقيقي بين الأمة العربية والإسلامية وأعدائها.

والواقع أن كل ذلك لم يغيّر من طبيعة التفكير الأمريكي، فالعداء للإسلام كامنٌ في هذا الفكر البروتستانتي المتحالف حتى العظم مع الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني، ولم يتزحزح قيد أنملة عن إيمانه بقوة الكيان الصهيوني وتفوقه المستمر والمهيمن بشكل مطلق على المنطقة.

وعندما بدأ العداء العربي الإسلامي يظهر بشكل عملي ضد الولايات المتحدة بسبب انحيازها المطلق للصهاينة، وبسبب سلب خيرات المنطقة وإهانة الأمة وهويتها وتراثها، لم يعد أمام الولايات المتحدة إلا أن تقفز قفزة نوعية في الإعلان صراحة عن عدائها للإسلام والمسلمين، وكان أن طورت تفكيرها وممارساتها وتحركاتها باتجاه الصدام الدامي مع المسلمين.

وجاءت أحداث أيلول لتقول إن الاستلاب الأمريكي للعرب وأرضهم لا بد له أن يُردع بأي شكل من الأشكال، لقد ظنت الولايات المتحدة أن قوتها وتواجدها العسكري والسياسي والاقتصادي في المنطقة العربية لن تسمح لأيٍ من العرب بالتفكير بالمساس بالولايات المتحدة، وكانت أحداث أيلول فوق ما يتصوره العقل الأمريكي، كان لدى الأمريكيين تصورٌ أن العرب يمكن لهم أن يفعلوا شيئاً ما في فلسطين مثلاً، أو في أي بقعة أخرى، وهي تعرف كيف تمتص نقمة الجماهير العربية والمسلمة، ولكنها لم تكن تتخيل أن الضربة ستكون في مدنها وفي أهم مراكزها التجارية والعسكرية.

وألصقت جريرة هذا العمل الكبير بما يسمى الأفغان العرب، الذين منذ البداية كانت أمريكا تبارك جهادهم ضد التواجد الشيوعي في أفغانستان باعتباره نضالاً من أجل الحرية والكرامة وما شابه ذلك من الشعارات التي استغلها الإعلام الأمريكي بشكل مكثف وكبير.

وبدأ يظهر تطور التعامل الأمريكي والتفكير الأمريكي تجاه الإسلام والمسلمين، وجاءت علامات هذا التطور لتقول: إن الولايات المتحدة لم تكن على حال حسنٍ مع المسلمين فتغيرت أو انقلبت، إنما هي وضمن الاستراتيجية العقيدية البروتستانتية وضمن الاستراتيجية السياسية والعسكرية وصل بها الحد إلى هذا السقف من العداء السافر للإسلام والمسلمين.

وبعد الذي حدث في أيلول أصبح أمراً طبيعياً أن تصدر في أمريكا تصريحات كثيرة مختلفة المصادر تفصح عن عدائها للإسلام والمسلمين، وتبدأ من رئيس الدولة وتنتقل إلى الباحثين والمفكرين والعسكريين وتجار السلاح والرأسماليين الكبار، وبدا

طبيعياً أن التوجه الإعلامي الأمريكي والمسيطر عليه من قبل اليهود والمتعصبين البروتستانت سينصبُّ على قضية واحدة وهي قضية إلصاق الإرهاب بالعقيدة الإسلامية والمسلمين.

ولم تتوقف التصورات الأمريكية عند الحدث نفسه أو تداعياته بل أصبح الحدث نفسه مادة خصبة لما اخترعوه من مصطلح صراع الحضارات أو صدامها وحتمية الدمار الكوني وما إلى ذلك من تصورات.

بدأ الإفصاح عن مكنون العداء الأمريكي للإسلام والمسلمين عن طريق الرئيس الأمريكي بوش عندما قال عن الحرب التي شنها على ما يسمى الإرهاب: حرب صليبية جديدة.

وفي استطلاع أجرته مجلة ذي إيكونوميست في أمريكا خلصت إلى نتيجة تقول: إن الحرب الجديدة التي تخوضها الولايات المتحدة حالياً ليست جديدة لكنها استمرارٌ وتصعيد لأنماط سابقة من العنف تشمل المسلمين.

وبعد أيلول ببضعة أشهر وتحديداً بتاريخ (25) كانون الأول (2001) كتب صموئيل هنتغتون الأستاذ بجامعة هارفرد عن نظرية صدام الحضارات التي تحدث عنها منذ عام (1993) وصرح فيها بأن بذور صدام عام بين الحضارات باتت منثورة، فردود الفعل على أحداث (11) أيلول وردة الفعل الأمريكية جاءت وفقاً لمنظور حضاري، إذ أن حكومات الدول الغربية وشعوبها تعاطفت بشكل كاسح مع الولايات المتحدة، وكانت داعمة لها وهي نظرة لخصتها صحيفة ليموند الشهيرة حين كتبت في عنوان رئيسي لها (كلنا أمريكيون).

ويتابع هنتغتون قوله: فيما يبدو مستبعداً أن تتحقق الوحدة في صفوف المسلمين خلال السنوات القليلة، فإن المؤشرات الديموغرافية تعكس صورة أكثر تفاؤلاً.

فقد كانت معدلات الولادة في عدد كبير من البلدان الإسلامية آخذة في الهبوط بشكل كبير لا سيما في البلقان، إلا أنها تبقى مرتفعة في بعض الدول الإسلامية مثل السعودية، وبحلول عام (2020) سيتقلص عدد الشباب المسلم،

وعندها سيكون من المنطقي أن يضمحل زمن حروب المسلمين ليخلفه عصر جديد تسيطر عليه أشكال أخرى من العنف بين شعوب الأرض، وكان هينتغتون قد بشر بعد سقوط الشيوعية بوجوب إيجاد عدو بديل، وقال في هذا الصدد: أن المجابهة مع الغرب ستبدأ من جانب العالم الإسلامي، وأن النضال من أجل نظام عالمي سيتحقق بتحرك شامل للدول الإسلامية من المغرب إلى باكستان بما يهدد الغرب وحضارته.

وتبعه فوكوياما صاحب نظرية نهاية التاريخ بتصريحات واضحة عن الحرب مع المسلمين.

وقال في مجلة النيوزويك: إن التحدي الذي يواجه الولايات المتحدة اليوم هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة من الإرهابيين، فبحر الفاشية الإسلامية الذي يسبح فيه الأمريكيون يشكل تحدياً أيديولوجياً هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية، ويقول: إن الصراع بين الديموقراطية الليبرالية الغربية والفاشية الإسلامية ليس صراعاً بين نظامين حضاريين يتمتعان بقابلية البقاء نفسها ويستطيع كلاهما ركوب العلم والتكنولوجيا، وخلق الثروات والتعامل مع التنوع الموجود في عالمنا المعاصر.

وليس السياسيون الأمريكيون بعيدين عن هذا التصور إلا أنهم ينطلقون من منظور سياسي عسكري ويعتمدون كلياً في هذا التصور على موقف سلفي مسبق تجاه الإسلام والمسلمين موقف يستند إلى موروث صليبي قديم.

ولم يكن حدث (11) أيلول المحطة التي قفز إليها هؤلاء السياسيون ليفصحوا عن مواقفهم تجاه الإسلام، والواقع أنهم بعد انهيار الشيوعية وجدوا في الإسلام العدو القادم لأمريكا والغرب، وافترضوا أن الصدام سيكون مع هذه العقيدة التي يسمونها الأيدلوجية الإرهابية.

فمنذ عام (1991) وفي منتدى الشؤون الأمنية الدولية الذي عقد في ميونيخ رفع ديك شيني شعار ـ الإسلام عدو بديل ـ وعندما أصبح شيني نائباً لبوش قبل سنتين أخذ يترجم قوله على أرض الواقع إذ أصبح في موقع القرار الأمريكي ولا حدود تمنعه من أن يطبق ما يقول.

أما الصحفي المشهور توماس فريدمان ـ وهو يهودي أمريكي ـ فقد كان أكثر وضوحاً في عدائه للإسلام وقد قال بعد (11) أيلول:

إذا كان تاريخ (11) أيلول بداية الحرب العالمية الثالثة فعلينا أن نفهم ما تقصده هذه الحرب.

علينا أن لا نكافح لاستئصال الإرهاب فحسب، لكننا نحارب لهزيمة الإيديولوجية والتدين الدكتاتوري، وإذا اعتبرنا الحرب العالمية الثانية ثم الحرب الباردة صراعاً لهزيمة النازية والشيوعية فإن الحرب الثالثة الحالية هي حرب ضد الحزب الديني المتطرف الذي يفرض على العالم سلطة إيمانية تنفي الآخرين، وحكم الحزب الديني لا يمكن أن يقاتل بالجيوش وحدها، بل يجب أن يقاتل أيضاً في المدارس والمساجد والكنائس والمعابد.

وقد ترجمت الولايات المتحدة هذا العداء الفكري على الأرض، وذلك على مستوى التعامل مع العرب والمسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة ومستوى التعامل الأمريكي تجاه العرب والمسلمين في عالمنا العربي والإسلامي، وخاصة تجاه القضية الفلسطينية باعتبارها المحور الأساسي للصراع بين قوى الصهيونية وحلفائها، وبين العرب والمسلمين.

أما على المستوى الداخلي الأمريكي فقد لجأت السلطات الأمريكية إلى إجراءات عديدة ضد العرب والمسلمين، فاعتقلت المئات منهم دون أن يكون لديها أي برهان مادي على أنهم إرهابيون يريدون تقويض الأمن الأمريكي! وهوجمت الجمعيات الخيرية ومراكز الدراسات الإسلامية، وأغلقت بعض هذه الجمعيات الخيرية لأنها حسب الزعم الأميركي لها نشاطات مشبوهة، أو هي تموّل بعض الحركات الإسلامية الجهادية في فلسطين، وجمدت أموال المؤسسات العربية والإسلامية ومنع أعضاؤها من التحرك، واستُدعي بعضهم الآخر للتحقيق، وطرد آخرون بحجة أنهم غير مرغوب فيهم بالولايات المتحدة.

وأصبح التحقيق مع المسافرين العرب والمسلمين سمة المطارات الأمريكية حتى أن السلطات الأمريكية أصدرت قانوناً يمنع المرأة المسلمة بوضع صورتها على جواز

سفر إذا كانت متحجبة، ويمنع الرجال من وضع صورهم على جوازات السفر إذا كانوا يرتدون أي غطاء للرأس، وبات كل عربي أو مسلم مشبوهاً من قبل أجهزة الأمن الأمريكية.

وقد لاقت الإجراءات الأمريكية الحكومية صداها لدى كثير من الأمريكيين وخاصة المتطرفين منهم، فهوجمت بعض المساجد ومراكز الدراسات، واغتيل بعض الأفراد في عدة ولايات، وتطور الحسّ العنصري كثيراً لدى الأمريكيين خاصة أن أجهزة الإعلام لا سيما الصحافة الصهيونية لعبت الدور الأخطر في تغذية هذا الشعور العنصري، ومن المعروف أن الصحفي الأمريكي اليهودي توماس فريدمان كان على رأس اللوبي الإعلامي الصهيوني الذي كرس كل مقالاته في الصحف الأمريكية للتحريض وإثارة المشاعر العدائية ضد العرب والمسلمين.

أما على المستوى الخارجي فقد شنت القوات الأمريكية بكل أسلحتها المدمرة هجوماً على أفغانستان طال جميع المناطق الأفغانية الفقيرة، وتقول التقارير: أن عدد من سقطوا قتلى من الأفغان بلغ خمسة وثلاثين ألف مواطن جميعهم من الفقراء والأطفال والنساء، وجعلت أمريكا من هذا البلد الفقير حقل تجارب لأفتك الأسلحة وأشدها دماراً.

وجعلت أمريكا شعارها الأول محاربة الإرهاب في كل أرجاء المعمورة، ووضعت على قائمتها ضرب العراق، وجنوب الفلبين، والصومال، ولبنان، وفلسطين، وطورت من حربها على المسلمين فشاركت القوات الفليبينية في حربها ضد الجنوب الفليبيني المسلم، وراحت تهدد يومياً العراق والصومال وغيرهما من البلدان العربية والإسلامية.

وقد شعر الكثيرون من المحلّلين العالمين أن حملة الولايات المتحدة على أفغانستان قد فشلت في تحقيق أهدافها، وأنها عندما تلوّح بضرب العراق أو بإعطاء الإيعاز لشارون باكتساح الضفة والقطاع ليس إلا تغطية عجزها في أفغانستان.

وعندما حاولت الولايات المتحدة إقناع العرب بالسكوت على ضربة ساحقة للعراق في شهر آذار من عام (2002) وجدت عدم توافق بينها وبين العرب فكان

مخططها إما العراق أو السلطة الفلسطينية والضفة والقطاع، وتم الخيار الأخير حيث أوعزت أمريكا لشارون باكتساح الضفة والقطاع، وارتكاب أبشع المجازر بحق الشعب الفلسطيني.

ولا شك أن الحملة الأمريكية لن تتوقف عند حدود، فهي التي وضعت في حسابها أن ضرب الفلسطينيين ضربة قاسية قد يجر أطرافاً للصدام مع الكيان الصهيوني، فلذلك راحت تلوّح بين الفترة والفترة بأن دولاً مثل العراق وسوريا وإيران تغذي الإرهاب، وهي حسب المنظور الأمريكي دول إرهابية سيأتيها الدور إن عاجلاً أو آجلاً، ولن تسلم من ضربة أمريكية قد تنفذها أمريكا نفسها أو وكيلتها في المنطقة.

إن كل هذه المعطيات تشير إلى أن المواجهة حتمية بين العرب والمسلمين وأمريكا، وإنْ بدا أن العرب غير قادرين تماماً على هذه المواجهة لكن فرضها بقوة السلاح على العرب لن يؤدي إلاّ لرفض أمريكا وهيمنتها.

لقد خلقت الولايات المتحدة حالة من العداء العربي والإسلامي لم يسبق لها مثيل، فالجماهير العربية المقهورة والمقموعة لن تصبر كثيراً على ما يجري، ولعل الصدام بين هذه الجماهير وأنظمتها التي تقيم علاقات حميمية مع العدو الصهيوني وأمريكا وشيك وهو ينذر بعدم الاستقرار في هذه البلدان.

وكل ذلك لا ينفصل بكل تفاصيله عن المواجهة مع الفكر الأمريكي الصهيوني والهيمنة الأمريكية المستشرية.

إن الصدام لا يقتصر فقط على جانب، فهناك العشرات من الأسباب التي ستؤدي إلى المواجهة، منها ما يتعلق بالظروف المعيشية للعرب، ومنها ما يرتبط بالنواحي الدينية والتاريخية، ومنها ما هو أخطر حيث تُستهدف الهوية العربية الإسلامية بإلغائها ومحاربتها بشراسة، وأهمها أن فلسطين بمالها من مكانة قدسية تسكن في قلوب المسلمين والعرب وتفجرهم دوماً باتجاه رفض الصهيونية ومحاربتها بكل الأشكال.